٧٢

مؤسسة الصحافة والنشر

ISSN 2347-2456

شعارنا الوحيد إلى الإسلام مرجديد

البعث الإسلامي

العدد الثامن - المجلد الثاني والسبعون

محرم-صفر ١٤٤٨هـ- يوليو- أغسطس ٢٠٢٦م

- الوقت أنفس ما عُنيت بحفظه (افتتاحية العدد)
- من هم أهل السنة والجماعة
- توحيد الأسماء والصفات
- فبما كسبت أيدينا
- الهجرة النبوية : دروس وعبر تصنع الأمم
- المستشرقون وترجمات معاني القرآن : دراسة نقدية
- من صور الالتفات في القرآن الكريم : دراسة بلاغية نحوية
- مساهمة الشيخ محمد حنيف الندوي في العلوم الإسلامية
- أضواء على حياة العلامة محمد فريد وجدي
- صلتي بالأديب الضليع والشاعر المفلق "محمد المجذوب"
- ميكافيلية الغرب وإسرائيل في الميزان

تصدرها : مؤسسة الصحافة والنشر، ص-ب-٩٣،لكناؤ- الهند

If undelivered please return to:

Al Baas El Islami, Majlis Sahafat wa Nashriyat , Nadwatul Ulama Campus, Tagore Marg,
Post box no.93 Lucknow-226007 Uttar Pradesh, India.
Email: info@albasulislami.com Website: www.albasulislami.com

قوتان لمقاومة تغيرات الزمان والمكان :

القوة الأولى : هي الحيوية الكامنة في وضع الإسلام نفسه ، وصلاحيته للحياة والإرشاد في كل بيئة وفي كل محيط ، وفي كل عهد من عهود التاريخ ، فقد خَصَّ الله محمداً برسالة وتعاليم كاملة للإنسان صالحة لكل زمان ومكان ، تستطيع أن تواجه ما يتجدد من الشؤون وأطوار الحياة ، وتحل كل ما يعتري من المشكلات والمعضلات ، والدراسة العميقة الشاملة للقرآن الكريم والحديث النبوي الصحيح ومصادر الإسلام ، كافلة بالاقتناع بما أقول ، ولكنه موضوع الفقه الإسلامي والنظم الإسلامية .

والقوة الثانية : هو أن الله قد تكفل بأن يمنح هذه الأمة التي قضى ببقائها وخلودها رجالاً أحياء أقوياء في كل عصر ، ينقلون هذه التعاليم الإسلامية إلى الحياة ، ويُعيدون إلى هذه الأمة الشباب والنشاط ، إن هذا الدين نفسه هو من أقوى العوامل في وجود هؤلاء الأشخاص في كل عصر ومصر ، لذلك نرى أن هذه الأمة لم تَعْدَم في عصر من عصورها مجددين في الدين ، وأئمة في العلم ، وعماليق في الفكر ، وأبطالاً في الجهاد ، وأعلاماً في الإصلاح ، لا يوجد نظيرهم – لا في الكمية ولا في الكيفية – في أُمة من الأمم ، ولم يكن ذلك من المصادفات والاتفاقات – وأنا لا أؤمن بالمصادفات في صنع الله وسَيْرِ الكون – إنَّما هو طبيعة هذا الدين ، وقدرته العجيبة على الإنتاج والتوليد ، وطبيعة هذه الأمة وصلاحيتها للبعث الجديد ، وإنما هو لُطف الله بهذه الأمة بل بالإنسانية ، إذ لو ضاعت هذه الأمة لضاعت أمانة السماء ، ولضاعت أمانة الإنسانية ، وإنما هي حراسته الكريمة وخفارته القوية لهذا الدين الذي فرض عليه أن يرافق الحياة إلى آخر مرحلة من مراحلها : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) [الحجر : ٩] .

(رجال الفكر والدعوة للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي)

الاشتراكات السنوية

- في الهند

أربع مائة (بالبريد العادي)	٤٠٠ / روبية
ثماني مائة (بالبريد المسجل)	٨٠٠ / روبية
ثمن النسخة	٤٠ / روبية

- في العالم العربي ، وفي جميع دول العالم:

٧٥ /دولارًا بالبريد الجوي ، أما البريد العادي فهو ملغى بصفة رسمية

- المجلة غير ملتزمة بكل فكر ينشر فيها

عنوان المراسلات:

ترسل الاشتراكات بالشيك: باسم "البعث الإسلامي"

AL-BAAS, A/C NO. 10863759846
IFSC CODE: SBIN0000125, SWIFT CODE: SBININBB157
STATE BANK OF INDIA, LUCKNOW MAIN BRANCH (INDIA)

بسم الله الرحمن الرحيم

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

المجلد ٧٢

مؤسسة الصحافة والنشر

البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

July, Augsut 2026

يوليو-أغسطس ٢٠٢٦م

العدد الثامن – المجلد الثاني والسبعون – محرم – صفر ١٤٤٨هـ – يوليو-أغسطس ٢٠٢٦م

ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودار العلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، وأن منهاج الدراسة خاضع الناموس التغير والتجدد، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم. الإمام العلامة الشيخ السيد أبوالحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله)

أنشأها

فقيد الدعوة الإسلامية

الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى

في عام: ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م

المشرف العام

الأستاذ السيد

بلال عبد الحى الحسني الندوي

رئيس التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

مدير التحرير

محمد فرمان الندوي

مساعد التحرير المسئول عن المكتب

محمد عبد الله المخدومي الندوي

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Tagore Marg, Lucknow. Pin:226007 U. P. (India) Mob: 9889336348, 8400476826

Email: albaas1955@gmail.com , info@albasulislami.com

محتويات العدد

❖ أخي القارئ !

يا ابن آدم ! إنما أنت أيام — مدير التحرير — ٥

❖ الافتتاحية :

الوقت أنفس ما عُنيت بحفظه — سعيد الأعظمي الندوي — ٦

❖ التوجيه الإسلامي :

من هم أهل السنة والجماعة — العلامة السيد سليمان الندوي رحمه الله تعالى — ١٠

❖ الدعوة الإسلامية :

توحيد الأسماء والصفات — الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي — ١٤

فبما كسبت أيدينا — الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد — ١٨

التنبيه الواضح لمن أساء برأيه الفاضح إلى مقام الإمام مالك وكتابه المُوطَّأ — الشيخ صالح العَوْد — ٢٥

الهجرة النبوية : دروس وعبر تصنع الأمم — الباحث خالد . ك — ٢٨

❖ الفقه الإسلامي :

قضايا معاصرة حول التعليم والتعلم على خلاف الجنس عبر الإنترنت — المفتي محمد مصطفى عبد القدوس الندوي — ٣٢

❖ دراسات وأبحاث :

المستشرقون وترجمات معاني القرآن : دراسة نقدية — د . طارق أحمد أهنغر — ٣٨

من صور الالتفات في القرآن الكريم : دراسة بلاغية نحوية — الأستاذ أيمن ياسين العمر — ٤٨

مساهمة الشيخ محمد حنيف الندوي في العلوم الإسلامية — الدكتور سيار أحمد نجار — ٥٥

الإمام الخطيب الشربيني ومآثِرُه العلمية — الباحث فهيم الحق الندوي — ٦٤

❖ رجال من التاريخ :

أضواء على حياة العلامة محمد فريد وجدي — دكتور/ غريب جمعة — ٧١

صلتي بالأديب الضليع والشاعر المفلق " محمد المجذوب " — د / أبو سحبان روح القدس الندوي — ٧٦

الشيخ عبد الحليم البخاري : صفحات مشرِقة من سيرته — الأستاذ محمود مجيب — ٨٤

❖ صور وأوضاع :

ميكافيلية الغرب وإسرائيل في الميزان — محمد فرمان الندوي — ٨٨

❖ بأقلام الباحثين :

الذكاء الاصطناعي سلاح ذو حدين — الأخ عبد العلي الحسني الندوي — ٩٢

إرث الشيخ كوكن والدكتور الأعظمي : دراسة موضوعية — د . سميراء محمد أجمل — ٩٥

❖ إصدارات حديثة :

الجاحظ ونبذة من آرائه التفسيرية : عرض ودراسة — الأخ أنس الزيات — ٩٨

❖ أخبار علمية وثقافية :

أدب الرحلات في الهند : رحلة ابن بطوطة نموذجاً — الأستاذ شمس الدين درمش — ١٠٠

❖ إلى رحمة الله تعالى :

١. إمام وخطيب المسجد الأقصى الشيخ وليد صبحي صيام إلى رحمة الله تعالى — قلم التحرير — ١٠١

٢. الأستاذ المفتي عبد الودود المظاهري في ذمة الله تعالى — " " " — ١٠١

٣. الأستاذ الأديب الشاعر عبد الله عيسى السلامة إلى رحمة الله — " " " — ١٠٢

أخي القارئ !

بسم الله الرحمن الرحيم

يا ابن آدم ! إنما أنت أيام

مع إشراقة هلال العام الهجري الجديد تتجدد ذكريات سارة ، وتتساور أفكار حزينة ، فإن مضي عام وقدوم عام سنة الله في الأرض ، وقد ظل دأب التجار الماديين في فجر عام ونهاية عام أن يجهزوا جدول المحاسبة ، ويعملوا حسابا ختاميا ، ليعرفوا ماذا ربحوا وما خسروا ، وماذا وجدوا ، وماذا فقدوا ، وبذلك يزداد نفاق تجارتهم ، وتتصاعد نسبتها شيئا فشيئا ، كذلك الأمر في كل شأن من شئون الحياة ، إذا وقف الإنسان وقفة تأمل فيه ، والتمس العظة واعتبر العبرة من مرور الأيام وذهاب الأعوام ، وراجع الحسابات وراجع السجلات ، رغم قلة وسائله ، وضآلة إمكانياته استدرك ما فاته ، وجبر ما كسره ، ولمس له نتائج سارة ، فالنجاح ليس مقرونا بالأوراد والرياحين ، بل هو معقود بالشوك والقتاد ، دون القعود والانسحاب ، قال تعالى : (وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ . وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ) [النجم : ٣٩] .

المسلمون أكثر وأشد حسابا لأنفسهم ، فلا يكونون سادرين في الغفلة عن الله تعالى ، ولا غارقين في المعاصي والمنكرات ، إنهم يجتنبون معاصي الأبدان ، كما يجتنبون معاصي القلوب ، ولا يستصغرون المعاصي ، ولا يستهينون بها ، فضلا أن يجاهروا بها ، لأنهم يملكون حسا مرهفا ، وضميرا حيا ، كلما بدرت منهم معصية أو ضاعت منهم طاعة ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ، ولأنهم يعلمون أن أعدى الأعداء ، وألد الخصام للإنسان هو النفس الإنسانية التي تعيش بين جنبيه ، وقد قال الإمام الغزالي رحمه الله : النفس في حالة الشهوة وفي حالة الغضب سبع مخيف ، والنفس في حالة المعصية طفل رضيع ، والنفس في حالة النعمة فرعون من الفراعنة ، فالحاجة إلى أن يخاف المؤمنون الله سرا وعلنا عز وجل ، ويجاهدوا أنفسهم جهادا كبيرا .

طلع العام الهجري الجديد ، فهنيئا لمن أحسن فيه واستقام ، وطوبى لمن جاهد فيها واجتهد ، وبشرى لمن صمم برامج إيجابية للعام الجاري ، لأن حياة الإنسان من ساعة الميلاد إلى ساعة الوفاة ، ومن المهد إلى اللحد أمانة عظمى ، فمن لم يبرمج للمستقبل ، وسار سيره الطبيعي فكأنه ينتحر نفسه انتحارا غير ملموس ولا مشاهد ، فخير الناس من طال عمره وحسن عمله ، وقد قال الإمام الحسن البصري رحمه الله : يا ابن آدم ! إنما أنت أيام ، كلما ذهب يوم ، ذهب بعضك .

فحيهلا إن كنت ذا همة فقد ... حدا بك حادي الشوق فاطو المراحلا

مدير تحرير المجلة
١٤٤٧/١٢/٢٨هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الوقت أنفس ما عُنيت بحفظه

أثمن شيئ يملك الإنسان في هذه الحياة الدنيا هو الوقت ، فهو ليس أغلى من الذهب والفضة ، ولا أنفس من الجواهر واليواقيت فحسب ، بل هو الحياة ، والحياة هي رأس مال الإنسان ، فانكماش الأعوام والسنين هو انكماش الحياة ، لأن الأشياء المادية يمكن أن يُسترد بجهد جهيد ، وسعي بليغ ، لكن الوقت إذا فات لا يمكن استعادته ، وقد شبهت الحياة بالثلج ، كما يذوب الثلج شيئاً فشيئاً ، كذلك تنتهي الحياة رويداً رويداً ، فالوقت يمر مر السحاب ، ويجري جريان الريح ، وإذا كانت أيام السرور والفرح دون الاكتئاب والترح فإنها تمضي كالبرق أو هو أقرب ، وأما أيام الهموم والغموم فإنها تسير ببطء وتثاقل ، حتى تكون كلاً وعبئاً على الإنسان .

إن القرآن والحديث حافلان ببيان أهمية الوقت ومعنوية الحياة ، فهو أعظم نعمة يتمتع بها الإنسان ، فإن تسخير الشمس والقمر ، والليل والنهار ، وإقسام الله بالفجر والضحى والعصر لم يكن إلا ليلتفت الإنسان إلى قيمة اللحظات ، ويطلع على منافعها وفوائدها ، ويستغلها لصالح أعماله وزيادة أجوره ومثوباته ، وأما ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم من أن الإنسان يُسأل عن شبابه فيما أبلاه ، وعن عمره فيما أفناه ، فهذا دليل على معرفة قيمة الوقت وإدراك مسئوليته أمام الله تعالى ، وقد فرضت الصلوات الخمس في أوقاتها ، وشرعت لها كلمات الأذان في مواعيدها ، كأن الأذان منبِّه الغافلين ، وموقظ النائمين بعد كل ساعات ، فحينما يكون العالم شبه مقبرة في الليل ، فإذا بكلمات الأذان تكون مثابة نفخ أرواح في النفوس ، وحينما تزول الشمس عن كبد السماء ، وينشغل الناس في لجج المشاغل الدنيوية والمتاعب اليومية ، فيرتج الجو بالتكبير ، وينفض الناس أيديهم ، ويروحون إلى الصلاة ، وكذلك

صلوات العصر والمغرب والعشاء يرتفع فيها الصوت الرباني ، ويملؤ القلوب روحاً جديدةً وإيماناً قوياً .

هناك موقفان حاسمان ، وكل إنسان يواجههما إما طوعاً وإما كرهاً ، فالموقف الأول هو حينما يستدبر الإنسان الأهل والأولاد ، ويستقبل الآخرة ، ويكون في ساعة الاحتضار ، ويعاني حالة الغرغرة ، ويرى كل ما عمل في هذه الدنيا بأم عينيه ، بل وتتمثل أمامه مناظر الآخرة، وفظائع القبر، وهذه الحالة من أشد وأفظع أحوال الإنسان ، فالملائكة يأتون إليه لقبض روحه ، فإذا كانت الروح طاهرةً نزيهةً أخرجوا الأرواح كأن زراً ضُغط ، أو شعرةً سُلت من العجين ، ولم يشعر به أحد ، لكن إذا كانت الأرواح خبيثةً، ومتوسخةً بالأقذار والنجاسات ، حاولت للتخلص من الملائكة ، لكن أين المفر ، كلا لا وزر ، إلى ربك يومئذ المستقر ، وذلك ما صوره القرآن الكريم : (وَٱلنَّازِعَاتِ غَرْقاً . وَٱلنَّاشِطَاتِ نَشْطاً) [النازعات : ١– ٢] ، ففي هذه الحالة الكئيبة البائسة يتمنى الإنسان لو مُنح مهلةً من الزمن أو أُخر إلى أجل قريب لاستدراك ما فات ، وإصلاح ما فسد ، لن تتحقق أمنيته ، ولن يجد الإنسان إليه سبيلاً، قال تعالى : (وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْساً إِذَا جَآءَ أَجَلُهَآ وَٱللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [المنافقون : ١١] ، والموقف الثاني هو ما يكون في الآخرة، حينما يرى الإنسان أن الأشرار يوفَّون أجورهم بشمائلهم ، وأن الأخيار يجزون جزاءهم بأيمانهم ، فأصحاب الميمنة في جنات عالية ، ونعم باذخة ، وسرر مرفوعة ، وأكواب موضوعة ، ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة ، أما أصحاب الشمال فإنهم يُساقون إلى جهنم ، ويكبون على وجوههم ، وتلفح وجوههم النار وهم فيها كالحون ، وقد سلسلت أيديهم وأرجلهم ، وصفدت أعضاؤهم وجوارحهم، وكانت سرابيلهم من قطران ، ولا يقضى عليهم فيموتوا ، ولا يخفف عنهم من عذابها ، فيتمنى أهل النار أن لو أرجعوا إلى الحياة الدنيا لعملوا أعمالاً صالحةً ، لكن هذه الحسرة تكون غصةً في صدورهم ، ويصدر جواب الله تعالى بهذه المناسبة أمراً قاطعاً : (أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ) [فاطر : ٣٧] .

وقد أدرك السلف الصالح قيمة الوقت وأهمية الحياة ، فكانوا حريصين على تفادي أوقاتهم من الضياع ، حتى لا تتسرب الأعمار سدىً ، وتذهب جفاءً ، وتضيع هباءً ، فلم تكن عندهم قيمة الدراهم والدنانير ، بل كانت القيمة كل القيمة للوقت ، فكانوا يكرهون من الرجل أن يكون فارغاً ، هناك تنقلب نعمة الفراغ نقمةً على صاحبها ، وقد قيل : الفراغ للرجال غفلة ، وللنساء غلمة ، أي محرِّك للغريزة ، وصدق أبو العتاهية إذ قال :

إن الشباب والفراغ والجدة مفسدة للمرء أي مفسدة

وقد رُوي عن السلف أنهم يقولون : من كان يومه كأمسه فهو مغبون ، ومن كان يومه شراً من أمسه فهو ملعون ، وقد نقل عن عامر بن عبد قيس أحد التابعين الزهاد : أن رجلاً قاله له : كلِّمني ، فقال له عامر ابن عبد قيس : أمسِك الشمسَ ، يعني أوقف لي الشمس واحبسها عن المسير حتى أكلمك ، فإن الزمن متحرك ، دائب المضي ، لا يعود بعد مروره ، فخسارته خسارة لا يمكن تعويضها واستدراكها ، ولأن لكل وقت ما يملؤه من العمل ، وكان الشيخ عبد الرحمن بن الجوزي قد عاش تسعاً وثمانين سنة ، وألف تأليفات أربت على خمس مائة كتاب ، وكان يقول : اعلم أن الزمان أشرف من أن يضيع منه لحظة ، فإن في الصحيح عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : من قال سبحان الله العظيم وبحمده غُرست له بها نخلة في الجنة ، [سنن الترمذي عن جابر بن عبد الله] ، فكم يضيع الآدمي من ساعات يفوته فيها الثواب الجزيل ، وهذه الأيام مثل المزرعة ، فهل يجوز للعاقل أن يتوقف عن البذر أو يتوانى ؟ والذي يعين على اغتنام الزمان : الانفراد والعزلة مهما أمكن ، وقد نقل القمي في الكنى والألقاب : أن بُراية أقلام ابن الجوزي التي كتب بها الحديث جمعت ، فحصل منها شيئ كثير ، وأوصى أن يسخن بها الماء الذي يغسل به بعد موته ، ففعل ذلك ، فكفت ، وفضل منها [ص : ٤] يقول الشاعر العربي :

الوقت أنفس ما عنيت بحفظه وأراك أسهل ما عليك يضيع

المؤمن الغيور الذي يؤمن بالله لا يكون غافلاً عن عاقبته ، إنه

يعتبر من مضي الزمان واختلاف الليل والنهار ، ويتفكر في خلق السماوات والأرض ، لا يمكن أن يمر الليل والنهار بالمؤمن ، ولا يتعظ ولا ينزجر ، إن ديننا الحنيف لا يثبِّط همة المرء في التطلع إلى غد مشرق مضمون ، بل الواقع أنه يشجع على تدارك الفائت من الأعمال والأنشطة في مستقبل أيامه ، ويأمر بإعداد الزاد وأخذ العدة ليوم الحساب ، إنه يطالب بتقديم الأعمال التي تنفعه في غد قادم ، ومستقبل محتوم لا فرار منه للإنسان ، وهو يعتبر ذلك من علامات التقوى ومقتضياتها ، يقول الله تعالى : (يا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ) [الحشر : ١٨] .

فإذا كان العام الجديد للهجرة ينبهنا إلى الاعتبار بما مضى من لحظات الحياة القيمة في كسل وفتور ، وفي أمور لا طائل وراءها ، فإنه يدعونا إلى تفكير عميق في أهمية الوقت المقبل الذي من شأنه أن يقدر كل تقدير ، ويستغل في بناء صالح للحياة على جميع المستويات .

نحن المسلمين أمام تحديات كثيرة وإن كان بعضها من ذات أنفسنا ، وهي تتحدانا اليوم في مجالات عديدة من الحضارة والاجتماع ، وتستهدف إذابة الشخصية الإسلامية بتجريدها عن جوهرة الإيمان والأخلاق ، ومن ثم تتجه المسئولية إلينا نحو بناء المستقبل للإسلام ، وذلك بوضع إمكانياتنا ، ووسائلنا في هذا السبيل ، وتفجير طاقات الأيام في صالح الحياة البشرية وتوجيه السعادة الحقيقية إلى المجتمعات الإنسانية كلها ، ولا يمكن ذلك إلا بالاعتبار بالحوادث ، وتنظيم الوقت ومراجعة الحساب وتخطيط دقيق للمستقبل .

وعلى هذا المحور للعمل والأمل يجب أن يدور نشاطنا ومجهوداتنا بمناسبة هذا الاستقبال الهنيئ للعام الباسم الجديد .

سعيد الأعظمي الندوي

١٤٤٨/١/٤هـ

٢٠٢٦/٦/٢١م

من هم أهل السنة والجماعة

بقلم : العلامة السيد سليمان الندوي رحمه الله تعالى*
تعريب : محمد فرمان الندوي
(الحلقة الثامنة)

كما أن في الإسلام كثيراً من الفرق التي لا تندرج في نطاق الإسلام ، كذلك هناك فرق كثيرة تَعُدّ نفسها من أهل السنة والجماعة ، لكنها لا تمت إليها بصلة ، وكان السبب وراء ذلك أن الأصول التي رتبها علماء أهل السنة قديماً قام فيها بتحريف صريح المتأخرون من أهل السنة ، خوفاً من تساؤلات العقلانيين الآخرين ، وانحرفوا عن الجادة المستقيمة ، فإنهم يسمون أنفسهم بأهل السنة ، بل يعتبرونهم مصداقاً حقيقياً لكلمة أهل السنة .

انقسم أهل السنة منذ القرنين الثالث والرابع الهجري في ثلاثة أقسام : الأشاعرة والحنابلة والماتريدية .

الأشاعرة ينتمون إلى الإمام أبي الحسن الأشعري (المتوفى ٢٧٠) ، وكان يُعتبر شارحاً لعقائد الإمام الشافعي ، فجميع الشوافع أشاعرة ، والحنابلة ينسبون أنفسهم إلى الإمام أحمد بن حنبل ، والماتريدية هم أتباع أبي منصور الماتريدي ، وهو تلميذ الإمام أبي حنيفة من عدة طرق ، فاعتبره الحنفية إماماً في العقائد .

هذه الفرق التي تعتبر المشائخ أمثال أبي حينفة والشافعي وأحمد ابن حنبل مؤسسيها وأئمتها لا يثبت عنهم بسند صحيح أي كتاب في العقائد ، بل تؤثر عنهم جمل وأقوال مفردة ، وهي على آراء قدماء أهل السنة والسلف الصالح ، فالخطأ الفاحش الذي صدر من متأخري أهل السنة أنهم اختاروا أسلوب الادعاء في القضايا التي سكتت عنها الشريعة الإسلامية ، ولم يفوضوها إلى الله تعالى ، وأدرجوا كثيراً من القضايا الفلسفية التي ليست لها علاقة بالشريعة ، في باب العقائد .

الحنابلة أكثر الناس ادعاءً بانتمائهم إلى أهل السنة والجماعة ،

*كبير علماء الهند ، وشيخ الندويين .

فإنهم يعتبرون الأشاعرة ضالةً ، كما تعد الأشاعرة المعتزلة ضالةً ، ومنحرفةً ، فالخلافات العلمية التي وقعت في بغداد بين الحنابلة والأشاعرة كانت تجدِّد جهاد غزوة بدر وحنين – أعاذنا الله منها – ، والماتريدية تعتبر نفسها أهل السنة في مؤلفاتها أمثال عقيدة البزدوي وتمهيد أبي سالم وغيرها ، كذلك حال الأشاعرة ، الواقع أننا إذا قارنا بين أقوال السلف الصالح وآراء المتأخرين من أهل السنة كان حالنا كما يقول الشاعر :

كه یاران دیگرے رامی پرستند

(إن أصدقائي يحبون أحباء آخرين)

أما قول الظاهرية والحنابلة أن الله في السماء ، وأنه استوى على العرش ، وقول الجهمية والمعتزلة الذين يؤيدهم الأشاعرة والماتريدية وغيرهم من مدعي السنة أن الله ليس بموجود في حيز ، وهو منزه عن الجهة والهيئة ، فإنهم سواسية في مجاوزة حدود الشريعة ، أما قول المشبهة أن لله جسماً ، وله يد وفم ورجل ، واعتقاد الأشاعرة والماتريدية بالإضافة إلى المعتزلة أن الله ليس له جسم ولا جوهر ولا عرض ، وليس هو بمتشكل ، ولا بمتخيل ، فإن الكتاب والسنة خاليان عن دلالة هذه الأمور ، وأما اعتقاد الكرامية أن جميع الصفات الإلهية حادثة ، واعتقاد المعتزلة أن كلام الله حادث فيعتبر أصل الانحراف العقدي ، ومنبع شتى أنواع الكفر والضلال ، لكن الأشاعرة إذا لم تقل عن الصفات الإضافية مثل الخلق والرزق أزلية وقديمة ، فلماذا لا يوجه إليهم سهام الطعن أيضاً ، بحيث إن الشريعة كما سكتت عن الأول والثاني ، كذلك لم تصرح بالثالث ، وعلى هذا المنهج قول المعتزلة أن الصفات عين ذات الله تعالى ، واعتقاد الحنابلة أن الصفات غير ذات الله ، وقول الأشاعرة والماتريدية أن الصفات قائمة بالذات ، ليست عين الذات ولا غير الذات ، فإنها سواء في العدول عن الشريعة والخروج منها ، بحيث لم تصرح بها الشريعة ، وقول الجبرية أن الإنسان مسلوب الاختيار مثل النبات والجماد ، وقول القدرية أن الله كامل الاختيار ، وقول الأشاعرة أن كسبنا وعملنا أيضاً له دخل فيه ، لكن لا أثر لكسبنا في هذا الفعل ، بل هو مباشرةً فعل الله تعالى ، وقول الماتريدية أن كسبنا يدخل مع خلق الله في الفعل ، معناه أن الله

والعبد خالقان على السواء في إيجاد فعل ، وهذه الأنواع الأربعة لا تتفق وروح الشريعة الإسلامية .

يقول المعتزلة عن القرآن : إنه مخلوق وحادث ، فبناءً على هذا أفتى أهل الظواهر من المحدثين في ذلك العصر بأنهم كفار ، وبالرغم من المعتزلة أبدوا هذا الفكرة أن القرآن غير مخلوق ، وحادث ، لا من حيث المعنى بل من حيث اللفظ أيضاً ، انظروا إلى الدليل أن اسم الله تعالى في القرآن الكريم ، وهل الله مخلوق وحادث ؟ ومن اعتقد في كونه مخلوقاً غير حادث فليس هو إلا كافراً ، وفي نهاية المطاف رفض المتأخرون منهم أي الأشاعرة والماتريدية هذا الدليل السخيف استهزاءً به ، وبعد ما دققوا تدقيقاً فلسفياً قدموا هذا التفصيل أن للكلام مفهومين : الأول ما يكون في قلب المتكلم ، والثاني ما يكون مجموعة ألفاظ وكلمات ، وهي تعبر عن المفهوم الأصلي والكلام الداخلي ، فالأول قديم ، وغير مخلوق ، والثاني حادث ومخلوق .

لكن الذين كانوا أتباع الكتاب والسنة في ذلك الزمان ، ويعتبرون أنفسهم من أولي البصر والبصيرة لم يبالوا بهذا الجدال الشعبي ، ولم ينحرفوا عن العدل والصدق في معاداة المعتزلة ، بل قالوا بكل صراحة : القرآن كلام الله تعالى فحسب ، فلا نقول عنه : إنه خالق ، ومخلوق ، فكان هذا الجواب صحيحاً ، لأن الكلام عن القرآن أنه مخلوق كما هو شر ، كذلك الاعتقاد أنه ليس بمخلوق يحمل فساداً وزيغاً .

فيتضح من هذه التصريحات أن تاركي السنة ومتأخري أهل السنة الذين قاموا بتعديل في مبادئ أهل السنة منبهرين بالمعتزلة والفرق العقلانية الأخرى ، وحاولوا صياغة دينهم وفق الأصول العقلية ، لم يكن بينهما فرق كبير من حيث النتيجة ، ولا علاقة لأقوال هؤلاء المتأخرين بعقائد وأفكار أهل السنة والسلف الصالح ، وإذا كانت هناك أي صلة فهي أنهم يكونون أقرب إلى الكتاب والسنة .

فإذا ما أخبرت الشريعة عن قضية ، ولم تعتبر معرفتها وبيان تفاصيلها بالعقل أساساً للإيمان ، ولم يطالب بالإيمان بها داعي الإسلام من أتباعهم من أي جهة ، فهل يكون اختياركم الرأي نفياً أو إثباتاً عنها واعتبارها دعامة أساسية للإسلام استكشافاً للحقيقة ؟ وهل يكون

عملكم في هذا الأمر إزاء أعمال فرق أخرى مستحسناً ؟ فإذا كانت عقولكم دليلاً على حل هذه المعضلات فتتقدمون إلى الأمام ، وتستغنون عن بعثة الأنبياء والرسل – والعياذ بالله – .

وقد بايع على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حوالي مائة ألف من الناس بيعة الإيمان والإسلام ، هل تعرفون تلك البنود التي يقوم عليها إيمانهم وإسلامهم ؟ وهل جاءت أمامهم أي قضية من قضاياكم الكلامية البالغة إلى مئات ، فإذا كان الجواب في نفي فماذا تقولون عنهم في ضوء الأصول والمبادئ المفروضة ؟ وكان إيمانهم كما ذكر في أول وآخر سورة البقرة ، قال الله تعالى : (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلآئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ) [البقرة : ٢٨٥] ، وقال تعالى في بداية سورة البقرة : (يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنْزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) [البقرة : ٤] .

وهناك آيات كثيرة من هذا النوع ، ذكر الله تعالى فيها الأسس التي يجب الإيمان بها ، فإذا آمن رجل بالقرآن وبما يوجد فيه فإنه آمن بكل ما فيه إجمالاً أو تفصيلاً ، وقد تضمن هذا الإيمان الإيمان بصفات الله التي ذكرت فيه ، وما ورد فيه من الكتب السماوية والملائكة والرسل ، وما ذكر من القيامة والحشر والنشر والجنة والنار ، فكانت عقيدة أهل السنة والسلف الصالح أن يكون الإيمان بكل من هذه الأمور في ضوء الشروط والاعتبارات والحدود ، التي طالب بها القرآن وثبت ذلك بالسنة الصحيحة والمتواترة ، لأنه قد ثبت إجماعاً أن العقائد لا تثبت إلا بالقرآن الكريم ، وبالأحاديث التي رويت بالتواتر ، لأن خبر الآحاد لا يستلزم اليقين ، فلا يكون أساساً للأمور اليقينية ، والإيمان عبارة عن الأمور اليقينية .

وقد أصيب الظاهرية وعامة المحدثين بعدم رعايتهم لهذه النكتة بالخطأ الفاحش ، وجمعوا كل رطب ويابس وأخبار الآحاد والمتواتر ، وقالوا : لا بد بها من الإيمان ، فعلى سبيل المثال طالعوا كتب البيهقي : الأسماء والصفات ، فإذا كان هناك حذر وحيطة كان علم كلام المحدثين علم الكلام للإسلام .

(للبحث صلة)

توحيد الأسماء والصفات

بقلم : الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي

كما يجب علينا أن نعتقد بأن الله ربنا ، وهومختص بجميع أعمال العبادة ، وذلك ما نسميه بتوحيد الألوهية وتوحيد الربوبية ، كذلك يجب علينا أن نعتقده وحيداً فريداً في أسمائه وصفاته ، قال الله تعالى : (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ) [الشورى : ١١] ، ليس كمثله شيئ ، لا في ذاته ولا في صفاته ، وإن علمه وقدرته وتصرفاته ، وجميع صفاته غير محدودة مثل ذاته ، فكل ما يوجد في الكون غير ذات الله وصفاته مخلوق ، وجعل الله له حدوداً ، كذلك صفاته محدودة أيضاً ، وإن الله جعل للمخلوقات صفات وفق طبائعها ، والإنسان أشرف المخلوقات ، فالصفات التي توجد فيه لا توجد في غيره من المخلوقات ، ثم جعل الله بين إنسان وإنسان فرقاً كبيراً حسب فهمه وإدراكه ، فنظراً إلى هذا تتعدد الصفات أيضاً وتتنوع ، فكما يكون للعالم فهم وإدراك ، كذلك يكون للجاهل دراية وبصيرة ، لكن ينحصر كل ذلك على ما أودع الله فيهما من المواهب والقدرات .

علم الغيب :

إن ما أكرم به الله الإنسان من الحواس الخمس يستنبط منها نتائج كثيرة ، إذا تذوق شيئاً حكم بطعمه ، وإذا رأى شيئاً أدرك لونه ، وإذا شم شيئاً عرف حقيقته ، وإذا سمع صوتاً استخرج بسماعه نتائج ، وإذا لمس شيئاً شعر بنعومة شيئ وشدته ورقته وخشونته ، لكن الشيئ الذي يكون خارج حواسه لا يمكنه أن يقول عنه شيئاً ، ولا يصل إلى حقيقته ، فالأمر الذي لا يحيط الإنسان بذهنه يقال له الغيب ، ولا يستطيع الإنسان أن يعرف الغيب ، ويصل إلى سره ، اللهم إلا أن الله تعالى يُطلع أنبياءه على كثير من أمور الغيب ، فيعلمون ما يلقي الله في قلوبهم أو يوحي إليهم ، ولا يمكنهم أن يقولوا شيئاً من عند أنفسهم .

إن الله قد أخبر خاتم النبيين وسيد المرسلين سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم بكثير من أمور الغيب ، فكل ما أخبر به الله نبيه صلى الله عليه وسلم عرفه النبي صلى الله عليه وسلم ، وأما ما عدا ذلك من أمور الغيب فكان لديه غيباً كذلك ، ولم يكن عنده علم به ، وردت في كثير من الآيات والأحاديث تفاصيل ذلك ، قال الله تعالى : (قُل لاَّ يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَاوات وٱلأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إلاَّ ٱللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) [النمل : ٦٥] ، وقال في موضع آخر : (إِنَّ ٱللَّهَ عندَهُ علْمُ ٱلسَّاعَة وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فى ٱلأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَداً وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [لقمان : ٣٤] ، وقال : (وَعِندَهُ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَآ إِلاَّ هُوَ) [الأنعام : ٥٩] أي جميع أمور الغيب عند الله تعالى ، فيوم القيامة الذي إتيانه أمر قطعي ، لا يعلمه نبي ولا ملك ، ولا ولي ، ولا شيخ كبير ولا مرب رفيع المستوى ، وقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن موعد القيامة فقال : إنما علمه عند الله ، وقد ذكر القرآن الكريم تفاصيل ذلك قائلاً : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَة أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا علْمُهَا عنْدَ رَبِّى لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فى ٱلسَّمَاوَات وَٱلأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا علْمُهَا عِندَ ٱللَّه وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ) [الأعراف : ١٨٧] ، وهناك أمور غيبية أمثال الفتح والهزيمة ، والصحة والمرض ، والموت والحياة ، والغناء والفقر ، وغير ذلك لا يعلمها إلا الله ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قد انتابته حالة عجيبة في غزوة بدر ، ولا يدري ماذا يكون غداً ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو الله باكياً ومتضرعاً إليه ، فأخبره الله تعالى بأن لا يحزن ، سينصره الله بالملائكة ويكرمه بالفتح المبين ، وقد طُعن في عرض السيدة عائشة رضي الله عنها ، فواجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قلقاً إلى أيام ، وظل يفتش في الأمر ، لكن لم ينكشف له الحق ، ثم نزلت آيات النور التي جاءت فيها براءة السيدة عائشة رضي الله عنها ، فزالت هموم النبي صلى الله عليه وسلم عنه .

لا بد أن يكون في عقيدتنا أن مفاتيح الغيب توجد عند الله فقط ، فإنه إذا أراد أن يُطلع أحداً على غيبه أطلعه عليه حسب مشيئته ، فإذا ادعى أحد بأنه يحمل علماً يستطيع أن يتعرف به على الغيب ، ويمكنه في المستقبل أن يطلع كذلك على الغيب ، فهو كذاب ، وإذا اعتقد عن نبي أو ولي مثل ذلك وقع في حبالة الشرك ، لأن هذا من صفات الله تعالى ، لا يشاركه أحد ، وقد أمر الله نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم أن يقول بلسانه : (قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً إِلاَّ مَا شَآءَ ٱللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوۤءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) [الأعراف : ١٨٨] ، فهذا القول الذي خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم هو سيد الأنبياء والمرسلين ، وكل من وجد مجداً أو شرفاً في العالم وجده من النبي صلى الله عليه وسلم ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقول : لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً ، فكيف أنصر الآخرين ، ولا أعلم الغيب ، ولو علمت لأنجزت عملي ، وعرفت مآلي في كل شيئ ، فإذا كانت عاقبته محمودةً أكملت ، وإذا كانت بالعكس تركت ، وهذا ليس في اختيار أحد ، يفعل ما يشاء ، يعلم ما يشاء ، ويهدي من يشاء ، هذا من قدرة الله تعالى ، وقد أشار الله تعالى إلى هذا المعنى في آية من القرآن الكريم : (إِنَّكَ لاَ تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ) [القصص : ٥٦] ، وننقل في السطور الآتية عدداً من الأحاديث التي تبين أن علم الغيب عند الله فقط ، عن الربيع بنت مسعود بن عفراء قالت : جاء النبي صلى الله عليه وسلم فدخل حين بني علي ، فجلس على فراشي كمجلسك مني ، فجعلت جوريات لنا يضربن بالدف ويندبن من قتل آبائي يوم بدر ، إذ قالت إحداهن : وفينا نبي يعلم ما في غد ، فقال : دعي هذه وقولي بالذي كنت تقولين [صحيح البخاري : ٥١٤٧] ، وهناك حديث آخر روي عن عائشة رضي الله عنها قالت : من حدثك أنه يعلم الغيب فقد كذب ، وهو يقول : لا يعلم الغيب إلا الله (صحيح البخاري : ٧٣٨٠) .

الاختيار والقدرة :

من صفات الله تعالى الاختيار والقدرة ، إذا أراد شيئاً فعله ، ولا يملك أحد دونه خياراً ولا قدرةً ، فمن يملك قدرةً لإتمام عمل فهو من الله تعالى ، وهو محدود ، وقد أعلن الله عنه بصراحة : (أَلاَ لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلأَمْـرُ) [الأعراف : ٥٤] ، أي ليس معناه أنه خلق ثم استراح ، وأسند أمره إلى الآخرين ، وليس مثله مثل الملوك الذين يخصصون لأعمالهم وزراء ، ويفوضون إليهم خياراً ، كما كان يزعم مشركو مكة عن بعض آلهتهم ، فكانوا يعتقدون أن الله تعالى منحهم خياراً كاملاً ، فبعض يملك إنزال المطر ، وبعض يهب الولد ، وبعض يعطي الرزق ، فينادون بهؤلاء الآلهة ويلتجؤون إليهم ، لكنهم كانوا يعتبرون الله أكبر آلهتهم ، وقد سموا مشركين أيضاً ، وقد بُعث النبي صلى الله عليه وسلم ليخرجهم من ظلمات الشرك ، وينشئ فيهم هذه العقيدة أن كل شيئ بيد الله تعالى ، قال الله تعالى عن مشركي مكة في سورة المؤمنون : (قُلْ مَن بِيَدِه مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلاَ يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُـونَ . سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ) [المؤمنون : ٨٨ – ٨٩] .

كان مشركو مكة يعتقدون كلياً أن كل شيئ بيد الله تعالى ، لكنهم يزعمون أن الله عز وجل قد أسند هذا الخيار إلى الآخرين أيضاً ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لإزالة هذه العقيدة الشركية ، وأخبرهم أن كل شيئ بيد الله وقدرته ، وأنه لم يمنح أحداً خياراً لأن ليفعل ما يشاء ، وآخر مثال له هو الرسول المصطفى صلى الله عليه وسلم ، الذي هو سيد المرسلين وخاتم المرسلين ، ومحبوب رب العالمين ، لكن الله يقول مخاطباً إياه : (إِنَّكَ لاَ تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَـن يَـشَآءُ) [القصص : ٥٦] ، فاتضح منه أنه لا يملك أحد قوةً ولا تصرفاً عند الله ، وأنطق الله بلسان نبيه صلى الله عليه وسلم في القرآن الكريم : (قُلْ إِنِّى لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرّاً وَلاَ رَشَداً . قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِـن دُونِـهِ مُلْتَحَداً) [الجن : ٢١ – ٢٢] .

(للحديث صلة)

فبما كسبت أيدينا

الأستاذ أشرف شعبان أبو أحمد*

في لحظة ما ، حينما تثقل الهموم والمشاكل كاهل الإنسان ، ويعجز عن مواجهتها أو إيجاد مخرج منها ، يلجأ إلى ربه ، فيناجيه متسائلاً : لم كل ما أنا فيه ؟ ولماذا كل ما أعانيه ؟ وبماذا أذنبت ليحدث لي كل هذا ؟ ويعيد السؤال على نفسه ، يكرره ويلح به تكراراً ومراراً ، وبينما يقف تارة موقف المتضرع إلى ربه ، مستعظماً ما ألم به من ابتلاءات ، يتيه تارة أخرى في متاهات عقله وأغوار نفسه ، باحثاً عن جواب يتصوره بعيد المنال ، مع أنه هو أقرب إليه مما يظن ، غير أنه يفر من الاعتراف به ، أو يخشى الإقرار به ، أو يلتمس مبررات تبعده عنه ، أو ينتظر تأكيداً خارجياً لما هو ثابت في داخله ، إلا وهو إن كثيراً مما هو فيه ، ومما يمر به ويعانيه ، إنما هو صنيعة يده ، ومن عند نفسه وبسببها .

وقد بينت آيات من القرآن الكريم حال الناس حينما تحل بهم الشدائد وتنزل بهم الكوارث ، وتداهمهم المصاعب والمصايب ، قال تعالى : (أَوَ لَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَـٰذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ) [آل عمران : ١٦٥] ، وإن كانت هذه الآية قد نزلت في أحداث غزوة أحد ، ولكنه سؤال يخطر على بال كل واحد منا ، ويتردد في نفسه ، لماذا أصابتني هذه المصيبة ؟ ومن أين جاءتني ؟ ولكن الجواب الحق هو ما بينه الله تعالى : هي من عند أنفسكم ، لا من عند غيركم ، ولا بفعل أحد سواكم . وقال سبحانه وتعالى في سورة المعارج الآيات ١٩ – ٢٠ : (إِنَّ ٱلْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا . إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا) ، تصف هذه الآية حال الإنسان إذا أصابه ضيق أو مرض أو فقر تجده جزوعاً أي لا يتحمل ما أصابه فيظهر عليه الخوف والقلق والحزن ، ويصير هكذا حاله . وقال تعالى : (وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَانَ كَفُورٌ) [الشورى : ٤٨] . وقال عز وجل : (وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ) [الروم : ٣٦] . وقال سبحانه وتعالى : (وَلَئِنْ أَذَقْنَا ٱلْإِنْسَانَ مِنَّا

* جمهورية مصر العربية .

رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا منْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ) [هود : ٩] ، فإذا ما نزل بالإنسان شدة أو ضر ، فإذا به ينسى ما أسبغ الله عليه من نعم سابقة وحاضرة ، ويستحضر ما نزل به من مصايب وينشغل بذكرها ، فلا يرى إلا لحظته الراهنة وشدتها الآنية ، فيصيبه السخط على ما ابتلي به ، ويقارن حاله بما يبدو له من حال غيره ، فيزداد تضجراً وجزعاً ، وربما تجاوز ذلك إلى ما لا يليق قوله أو فعله ، ومع طول المكابدة ، واستسلام النفس لهذا الحال ، تسيطر عليه نظرة تشاؤمية ، فييأس من الفرج ، ومن زوال ما به من ابتلاء ، فلا يرى خيراً منتظراً ولا فرجاً قريباً ، وقد غفل عن سعة رحمة الله ، وقدرته على تبديل الحال ، ورد النعمة ، أو التعويض بمثلها أو بخير منها . وقال تعالى : (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْف فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ به وَإِنْ أَصَابَتْهُ فتْنَةٌ ٱنْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهه خَسرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلآخرَةَ ذَٰلكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبينُ) [الحج : ١١] ، أي من الناس من إن أصابته فتنة من حصول مكروه أو زوال محبوب انقلب على وجهه ، أي ارتد عن دينه خسر الدنيا والآخرة . وقال تعالى في سورة يونس الآية ١٢ : (وَإِذَا مَسَّ ٱلإِنسَانَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لجَنبه أَوْ قَاعداً أَوْ قَآئماً فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُ) ، وقال تعالى : (وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بجَانبه وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ) [فصلت : ٥١] ، وقال سبحانه وتعالى : (وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُّنِيبِينَ إِلَيْه ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُمْ مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ) [الروم : ٣٣] ، تبين هذه الآيات حال الإنسان عند وقوع البلاء به ، وعند مواجهته للشدائد ، من ضيق أو ألم أو مرض أو فقر أو خوف ، فإذا به يلجأ إلى الله وحده ، متضرعاً إليه بالدعاء ، ومستغيثاً به في كل أوقاته وفي جميع حالاته ، مضطجعاً أو قاعداً أو قائماً ، وما أن يرفع عنه البلاء ، ويكشف عنه هذا الضر ويفرج كربته ، فإذا به يعود إلى ما كان عليه قبل الشدة ، كأن لم يدع الله قط ، ولم يمر به أي بلاء ، فيتصرف كأن شيئاً لم يكن ، فعجباً لحال هذا الإنسان يطلب من ربه عند الحاجة ، ثم ينساه عند العافية ؟ وبينما ينظر بعض الناس إلى المصيبة نظرة سخط ويأس ، فإن فريقاً آخر ينظر إليها على أنها ابتلاء من الله عز وجل ، قال تعالى : (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوفْ وَٱلْجُوعِ وَنَقْص مِّنَ ٱلأَمَوَالِ وَٱلأَنفُس وَٱلثَّمَرَات وَبَشِّرِ ٱلصَّابرينَ) [البقرة : ١٥٥] ، وقال عز وجل : (وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فتْنَةً) [الأنبياء : ٣٥] ، وقال سبحانه وتعالى : (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَاهدينَ مَنكُمْ وَٱلصَّابرينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ) [محمد : ٣١] . فهي عند هذا الفريق باب من أبواب القرب إلى الله عز وجل ، وتكفير

للذنوب ، ورفعة للدرجات ، يرجون بها الأجر والثواب ، ويوقنون أنها بتقدير الله وحكمته ، وأن وراء كل قدر عبرة لمن تدبر ، فلا يخرجهم البلاء عن حسن الظن بربهم، ولا يقطع رجاءهم في الفرج ، بل يجتمع في قلوبهم الصبر والرضا ، ويثبتون على الإيمان بالقدر خيره وشره ، غير مستسلمين لليأس ، ولا منقادين للقنوط ، وإن اشتد عليهم الألم لجأوا إلى الله بالشكوى دون اعتراض على قضائه ، قال تعالى : (ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ) [البقرة : ١٥٦] . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه " [رواه البخاري] . قال عكرمة : ما من نكبة أصابت عبداً فما فوقها إلا بذنب لم يكن الله ليغفره له إلا بها أو لينال درجة لم يكن يوصله إليها إلا به . وعن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إذا كثرت ذنوب العبد ولم يكن له ما يكفرها ابتلاه الله بالحزن ليكفرها " ، وقال عليه الصلاة والسلام : " والذي نفس محمد بيده ما من خدش ولا اختلاج عرق ولا عثرة قدم إلا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر " ، كما ثبت في الصحيح قوله عليه الصلاة والسلام: " عجباً لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيراً له ، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له " ، فهو يشكر ربه عند النعمة ، ويصبر عند البلاء ويرجو ربه في كل حال .

كما أشارت آيات من القرآن الكريم إلى أن ما يصيب الناس من مصايب في أنفسهم وأهليهم وأموالهم وفيما يحبون ويكون عزيزاً عليهم ، قد يكون بسبب ما كسبته أيديهم وما ارتكبته من أعمال أو ذنوب أو أخطاء ، إما عقوبة أو تنبيهاً وتذكيراً من الله لهم ، ومع ذلك فإن رحمة الله واسعة إذ يعفو عن كثير فلا يؤاخذهم بكل ما كسبوا ، قال تعالى : (وَمَآ أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ) [الشورى : ٣٠] ، وقال تعالى : (أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ) [الأعراف : ١٠٠] ، أي أو لم ينتبه هؤلاء إلى أن سنة الله ماضية في الأولين والآخرين ، وأنه سبحانه لو شاء لأصابهم بذنوبهم كما أصاب من قبلهم ، إلا أن من سنته أيضاً الإمهال والرحمة مع بقاء العبرة والابتلاء . وقال تعالى : (ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) [الروم : ٤١] ،

والمقصود بالفساد هنا كل ما يضر حياة الناس من ظلم وقحط ، ونقص الثمرات ، وانتشار الأمراض والأوبئة ، واضطراب الأمن ، وضعف الأخلاق، وفساد المعاملات ، وانتشاره في البر والبحر ، وهما موطن الإنسان وسكنه بل وسكن سائر المخلوقات ، فكل ذلك من آثار ذنوب الناس ومعاصيهم ، ليذيقهم الله بعض ما عملوا ، لا كله ، رحمة منه ولطفاً بهم، لعلهم يستيقظون من الغفلة ، ويتركون معاصي الله ويتوبون إليه ، ويستقيمون على الحق ، فلو جازاهم سبحانه وتعالى بكل ما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه " [ابن ماجه] . كما قال علي بن أبي طالب : ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة . وقال عمر بن عبد العزيز : تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من فجور . وليس معنى ذلك أن كل مصيبة تنزل بالعبد لا تكون إلا بسبب ذنب صدر منه هو بذاته ، بل قد تنزل المصايب عليه بسبب ذنوب غيره أيضاً ، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد سئل أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : " نعم إذا كثر الخبث ". قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب منه " [رواه أبو داود والترمذي]. أي إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه ، ولم يقفوا في وجهه لمنعه من الظلم ، أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده . وقال عليه الصلاة والسلام : " إذا رأيت أمتي تهاب الظالم أن تقول له إنك ظالم فقد تودع منها"] ، وفي هذا الحديث تحذير شديد من السكوت عن الباطل ، والخوف من بطش الظالمين على حساب بيان الحق ، لما في ذلك من تمكين للظلم ، وتفش للفساد ، وضياع للحقوق ، وتعطيل لفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وما يترتب على ذلك من أضرار بالعباد في دينهم ودنياهم. كما يشير الحديث إلى أن السكوت على الظلم مع القدرة على إنكاره ومنعه ، ينذر بعقاب عام يعم الأمة كلها ، الظالم والساكت عنه على حد سواء ، وللنجاة من ذلك يجب الصدع بالحق ، ومواجهة الظلم بكافة الوسائل المتاحة ، مع مراعاة الضوابط الشرعية ومآلات الأفعال . قال تعالى في سورة الأنفال الآية ٢٥ : (وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً) . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلَم : " إنَ اللّه لَا يعذب اَلعامة بعمل الخاصة حتى يروا المنكر بين أظهرهم وهم قادرون على أن ينكروه

فلا ينكروه ، فإذا فعلوا ذلك عذب الله العامة والخاصة " . وقال ابن عباس: أمر الله عز وجل المؤمنين أن لا يقروا المنكر بين أظهرهم فيعمهم الله بعذاب يصيب الظالم وغير الظالم . وما يولي الله على عباده ظلمة إلا إذا كثر ظلم العباد لأنفسهم ولبعضهم البعض ، وازداد فسادهم ومنعهم الحقوق الواجبة ، فيسلط الله عليهم ظلمة ، يسومونهم سوء العذاب ، ويأخذون منهم بالظلم والجور أضعاف ما منعوا من حقوق الله وحقوق العباد ، غير مأجورين فيه ولا محتسبين ، قال تعالى : (وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضَۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ) [الأنعام : ١٢٩] ، فمن سنن الله في خلقه أنه يسلط الظالمين بعضهم على بعض ، جزاءً بما كسبوا ، حتى يذيق بعضهم بأس بعض . قال سعيد عن قتادة : إنما يولي الله الناس بأعمالهم ، فالمؤمن ولي المؤمن أين كان وحيث كان ، والكافر ولي الكافر أينما كان وحيثما كان . وعن ابن مسعود : من أعان ظالماً سلطه الله عليه . وعن ابن عباس : أن الله تعالى إذا أراد بقوم خيراً ولى أمرهم خيارهم ، وإذا أراد بقوم شراً ولى أمرهم شرارهم . وقال فضيل بن عياض : إذا رأيت ظالماً ينتقم من ظالم فقف وانظر متعجباً . (وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ) [فصلت : ٤٦] ، كما ورد في عدد من الأحاديث والآثار أن ظهور بعض المعاصي والظلم الاجتماعي يكون سبباً في نزول العقوبات العامة ، كالأمراض وشدة المعيشة وتسليط الأعداء ، منها : لم تظهر الفاحشة في قوم حتى يعلنوا بها إلا فشت فيهم الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم ، ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان ، ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يمطروا ، ولا نقضوا عهد الله ورسوله إلا وسلط عليهم عدو من غيرهم ، فأخذ بعض ما في أيديهم ، وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله إلا جعل بأسهم بينهم . كما ورد أيضاً أن من الذنوب التي يعجل عقوبتها في الدنيا قبل الآخرة ، ذنب عقوق الوالدين ، لعظم شأنه وسوء عاقبته .

ومن سنن الله تعالى الجارية في خلقه أيضاً ، أن كل عمل صالح أو سيئ ، يعود أثره على صاحبه ، جزاءً في الدنيا أو في الآخرة ، بحسب مشيئة الله وعدله وحكمته ، قال تعالى : (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ . وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ) [الزلزال : ٧ – ٨] ، وهي آية جامعة في بيان عدل الله تعالى ، إذ لا يضيع عنده عمل الإنسان ، عملاً صغيراً كان أو كبيراً ،

قليلاً أو كثيراً ، خيراً كان أو شراً ، بل ويجازي عليه إما في الدنيا أو في الآخرة حسب حكمته سبحانه وعدله ورحمته ، وقد روي عن ابن عباس في تفسيرها أنه قال : ليس من مؤمن ولا كافر إلا ويجازى بعمله ، فأما المؤمن فيكفر عنه في الدنيا ويدخر له جزاؤه في الآخرة ، وأما الكافر فيعجل له حسناته في الدنيا ، ويجزى بسيئاته في الآخرة . وقيل أيضاً في ذلك : إن المؤمن تعجل له عقوبة سيئاته في الدنيا ، في نفسه وأهله وماله وولده ، حتى يلقى الله وليس عليه خطيئة ، ويؤخر له ثواب حسناته فيجده يوم القيامة كاملاً مضاعفاً ، وأما الكافر فيعجل له ثواب حسناته في الدنيا ويؤخر له عقاب سيئاته ليوافيه به يوم القيامة . قال سبحانه وتعالى : (وَلاَ تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلاَّ عَلَيْهَا) [الأنعام : ١٦٤] ، لا تجني أي نفس من خير أو شر إلا على نفسها ، فإن عملت خيراً عاد نفعه إليها ، وإن عملت شراً عاد وباله عليها ، ولا يتحمل أحد نتائج عمل غيره . جاء في سورة البقرة الآية ٢٨٦ : (لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ) أي كل نفس تجني ثواب خيرها ، وتتحمل عقوبة شرها ، ويعود عليه وحده في الدنيا بآثاره ، وفي الآخرة بجزائه . وقال تعالى : (وَمَن يَكْسِبْ إِثْماً فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ) [النساء : ١١١] ، فمن يأت ذنباً ، صغيراً كان أو كبيراً ، عن عمد وقصد منه ومعرفة به ، فإنما يجني وبال ذلك الذنب وضره وخزيه وعاره على نفسه ، دون غيره من سائر خلق الله ، أي أن عقوبته الدنيوية والأخروية يضر بها نفسه لأنها عائدة عليه . وقال تعالى : (إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا) [الإسراء : ٧] ، تشير الآية إلى أن أثر العمل راجع إلى صاحبه ، إحساناً كان أو إساءة ، وكلاهما في الدنيا والآخرة ، وإذا كان الخطاب لبني إسرائيل فالمعنى عام لكل من أطاع الله وأصلح من شأنه ولزم أمره ونهيه ، فإنما يحسن لنفسه ويجني ثمار عمله ، وكل من خالف وعصى الله وارتكب ما نهي عنه فإنما يسيئ إلى نفسه ولا يضر إلا ذاته . وكثيرة هي الآيات القرآنية التي تقرر ، أن عمل الإنسان راجع إليه وعائد عليه نفعاً أو ضرراً ، قال عز وجل : (وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ) [لقمان : ١٢] ، وقال سبحانه وتعالى : (وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ) [فاطر : ١٨] ، وقال عز وجل : (وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ) [العنكبوت : ٦] ، وقال عز وجل في سورة النمل الآية ٩٢ : (فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ) ، وقال تعالى : (فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ) [الأنعام : ١٠٤] ، وقال تعالى : (وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ) [محمد : ٣٨]،

وقال سبحانه وتعالى : (فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسه) [الفتح : ١٠] ، وقال: (مَن كَفَرَ فَعَلَيْه كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالحاً فَلأَنفُسهمْ يَمْهَدُونَ) [الروم : ٤٤]، وقال عز وجل : (وَإِن يَكُ كَاذباً فَعَلَيْه كَذبُهُ) [غافر : ٢٨] ، وقال تعالى في سورة الحشر الآية ١٩ : (وَلاَ تَكُونُواْ كَٱلَّذينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَـٰئكَ هُمُ ٱلْفَاسقُونَ) ، قال الشوكاني في فتح القدير : نسوا الله أي تركوا أمره ، أو لم يقدروا الله حق قدره ، أو لم يخافوه ، أو اجتمع فيهم ذلك كله ، فأنستهم أنفسهم ، أي أنساهم حظوظ أنفسهم ، فجعلهم ناسين لها بسبب نسيانهم له ، فلم يشتغلوا بالأعمال التي تنجيهم من العذاب ، ولم يكفوا عن المعاصي التي توقعهم فيه ، وقال سفيان : نسوا حق الله فأنساهم حق أنفسهم. أنساهم مصالح أنفسهم ، وأغفلهم عن منافعها ، فصار أمرهم فرطاً ، فرجعوا بخسارة الدارين ، وغبنوا غبناً لا يمكنهم تداركه ، ولا يجبر كسره . فلا تنسوا ذكر الله فينسيكم العمل لمصالح أنفسكم التي تنفعكم في معادكم ، فإن الجزاء من جنس العمل . قال بعض السلف : إني لأعصي الله فأرى ذلك في خلق دابتي وامرأتي .

وأخيراً فإن ما يمر به الإنسان في مسيرة حياته من أحداث ومواجع ، وما يتعرض له من مصايب وأمراض ، أو ما يشهده من تقلبات في المعيشة بين السعة والضيق ، والراحة والكدر ، والسعادة والشقاء ، قد يكون جزاءً لما اقترفته يداه من أخطاء وزلات ، فإذا نزلت به شدة فلا يستغربها ولا يدعها تربكه ، بل يقف مع وقفة جلسة صدق ، ويتأمل سيرته وأيامه ، ويفتش في حاله ملياً ، لعله يتذكر إنه صدر منه يوماً ما ، مثل ما نزل به أو ما شابه له، أو وقع في ذنبٍ وقصر في واجب . وإن لم يكن من أفعاله ، ولم يجد لذلك سبباً ظاهراً فليعلم أنه ابتلاء من الله سبحانه وتعالى ، وكل ذلك يجري وفق حكمة إلهية لا يعلم سرها إلا الله تعالى ، فقد يكون في طيات ما يكرهه الإنسان ، خير عظيم لا يدركه في حينه ، قال تعالى : (لاَ تَحْسَبُوهُ شَرّاً لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ) [النور : ١١] ، وقال عز وجل : (وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحبُّواْ شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ) [البقرة : ٢١٦] ، فهاتان الآيتان من القرآن الكريم تبينان ، أن الإنسان قد يحب شيئاً لا خير فيه ولا مصلحة له، وقد يكره شيئاً وفي طياته من الخير والرحمة وصلاح الأمر ما كتبه الله تعالى له ، وهو سبحانه الرؤوف الرحيم بعباده .

التنبيه الواضح لمن أساء برأيه الفاضح إلى مقام الإمام مالك وكتابه المُوطَّأ

بقلم : الشيخ صالح العَوْد *

أصدرت إحدى دور النَّشر في (لبنان) طبعةً من كتاب (موطَّأ) الإمام مالك رضي الله عنه ، مُرْفقاً بملحق هزيل استخرج صاحبُه بزعمه : الأحاديثَ الضعيفة ، وكأنّه يستدرك عليه ، وعلى جهوده البارّة في تأليف كتابه الـذّائع الـصّيت ، ألا وهـو (الموطّـأ) ، ومـا أدراك ، (هـو أول كتاب الصحاح) .

فلمّا وقفتُ عليه معروضاً بإحدى المكتبات التجاريّة ، ساءني هذا العبث بل هالني صنيعه ، وأسفت كل الأسف على ما أقدم عليه : كلٌّ من الكاتب أوّلاً ثمّ النّاشر ثانياً ، وقلت ممتعضاً من هذا التصرّف الأرْعن : لا تزال خيوط المؤامرة ، في تشكيك أحاديث السّنّة المشرّفة سنداً ومتناً مُستمرّةً من كلّ ناعق وفاطق إلى اليوم ، وقبل سنوات ، أخرج صعلوك كتاباً يتهجّم فيه على صحيح الإمام البخاري ومصداقيّته ، والحقيقة التي لا جدال فيها ، أنّها إحدى مآسي هذا العصر الكبرى ، وأن أصحابها الطفيليّين لا يرقبون في ثوابتنا الجليلة وتراثنا العظيم إلاً ولا ذمّة .

وأكثر من ذلك ، أنّهم لا يخشون الله تعالى ، ولا يحترمون بل ولا يعظّمون شأن النّبيّ الأكرم صلى الله عليه وسلّم : أقواله وأفعاله وغير ذلك ، كما ألمح إلى ذلك صلى الله عليه وسلّم : " تركت فيكم ما إن تمسّكتم بهما : كتاب الله ، وسنّتي " .

ثمّ وبكلّ تأكيد ، يعرفون أنفسهم : أنّهم لا علم لهم بالسنّة : من قريب أو بعيد : رُواةً ومصنِّفين ، وإنّما دعاهم خروجهم على الأمّة بهذا الهراء : حبّ الظهور ، والتّشفي من أولائك الأعلام البارزين كمالك والبخاري ، على مدى قرون خلت ، ولا زالوا حتّى عصرنا .

وليتهم اشتغلوا بأشياء أخرى تخصُّهم إن كانوا من أهل الاختصاص ،

* مجاز في علم الشريعة .

أمّا أن يطرُقُوا هكذا مجالات ليسوا منها في شيئ ، فهذا يفضح مسارَهم ، ويعرّي نواياهم ، ويكشف مقاصدهم ، ولأنّه ضلال مبين بلا شك .

أعود فأقول ، ومن الله تعالى وحده الرِّضا والقبول : لماذا هذا الهَرْج ؟ أو هذا الجرْج ؟ أشهر كتاب في الدّنيا ، وأصدقه بعد القرآن الكريم ، وهو الموطّأ ، لإمام المدينة : مالك بن أنس رضي الله عنه .

في البداية : أعرض (شهادة) العظماء ، من أعلام العلماء ومشاهير الروّاة الثّقات ، في كلّ العصور ، على النحو التالي :

قال الإمام الشافعي رحمه الله : إذا جاء الأثر فمالك النّجم ، وإذا ذكر العلماء فمالك النّجم الثّاقب ، ولم يبلغ أحد مبلغ مالك في العلم لحفظه وإتقانه وصيانته ، وما أحد أمنّ عليّ في علم الله من مالك ، وجعلت مالكاً حجّةً بيني وبين الله .

وقال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل : قلت لأبي : من أثبت أصحاب الزّهريّ ؟ قال : مالك أثبت في كلّ شيئ .

وقال ابن وهب : لولا مالك لضللت .

وكان الأوزاعي إذا ذكر مالكاً قال : عالم العلماء ، وعالم أهل المدينة ، ومفتي الحرمين .

وقال الإمام سفيان بن عيينة لمّا بلغته وفاته : ما تركَ على الأرض مثله ، وقال : مالك إمام وعالم أهل الحجاز ، ومالك سراج الأمّة ، وإنما كنا نتبع آثار مالك .

وقال حمّاد بن زيد لرجل جاءه في مسألة اختلف النّاس فيها : يا أخي ! إذا أردت السلامة لدينك فسل عالم المدينة وصر إلى قوله فإنه حجّة ، مالك أعلم الناس .

وقال حمّاد بن سلمة : لو قيل اختر لأمة محمّد صلى الله عليه وسلم إماماً يأخذون عنه دينهم لا بدّ من ذلك ، لرأيت مالكاً لذلك موضعاً ورأيت ذلك صلاحاً للأمّة .

وقال اللّيث بن سعد : علم مالك أمان لمن أخذ به الأنام .

مكانة الموطأ ، وأنّه الأصل في كتب الصّحاح :

بيَّن السَّادة العلماء : من المحدِّثين والفقهاء ، منزلة كتاب الموطّأ من حيث المنهج كفكرة لم يسبقه إليها أحد في زمانه أو بعد زمانه ، وكذلك ما اختاره من تجميع نصوصه : أحاديث ، وآثار ، وأقوال ، وظلّ

يزيد فيها وينقص مدّة أربعين عاماً ، حتى نضج عملُه فيه واستوى ، ورضي به عن قناعة دون خلل ولا تردّد أو اضطراب ، فخرج به على الأمّة المسلمة ككتاب جميل وجليل ينفعها ولا يضرُّها : عقيدة ، وشريعة ، وسأعرضُ هنا باختصار شديد ، خلاصة ما صدَّر به كتابه : (المُسَوَّى من أحاديث المُوَطّأ) للعلاّمة الشّهير ، والمحدِّث الكبير : الإمام وليّ اللّه الدِّهلوي رحمه اللّه وطيّب ثراه ، فقد قيَّمَ هذا الكتاب ، وأحاط به من حيث أسانيده ، وأحاديثه ، وآثاره ، وما جاء فيه من أقوال ونقول ، أُورِدُها من مقدّمته الهائلة في صفحته (٢٩/٢٧/٢٥) :

لما ألّف الإمام مالك هذا الكتاب ، شرع كثير من العلماء في تأليف مثله ، فقيل للإمام مالك : أتعبت نفسك بتأليف هذا الكتاب ، وها قد ألّف النّاس مثله ، فقال : ستعلمون لا يقبل من هذه الكتب إلا ما أريد به وجه اللّه، فبعد زمن قليل ما عرف شيئ من تلك الكتب كلّها ، أُلقيت في البئر .

سأل مالك مطرف بن عبد اللّه : ماذا يقول الناس في موطئي ؟ فقال : الناس رجلان : محبّ مطر ، وحاسد مفتر ، فقال مالك : إن مُدّ بك عمر، فترى ما يريد اللّه به .

لقد انشرح صدري وحصل لي اليقين بأنّ الموطّأ أصح كتاب يوجد على وجه الأرض بعد كتاب اللّه ، كذلك تيقّنت أنّ طريق الاجتهاد وتحصيل الفقه (بمعنى معرفة الأحكام الشرعية من أدلّتها التفصيلية) مسدود اليوم (على من رام التحقيق) إلا من وجه ، وهو أن يجعل (المحقّق) الموطّأ نصب عينيه ويجتهد في وصل مراسليه ومعرفة مآخذ أقوال الصحابة والتّابعين ، بتتبّع كتب أئمّة المحدّثين .

وما قلناه أنّ طريق الاجتهاد مسدودة إلا من هذه الجهة ، الباعث على ذلك أن الأحاديث المرفوعة وحدها لا تكفي جميع الأحكام ، بل لا بد لها من آثار الصحابة والتّابعين ، ولا يوجد كتاب جامع لهذا وذاك الآن ، ويكون مع ذلك مخدوما من العلماء ، ونُظِرَ فيه نظر المجتهدين طبقة بعد طبقة غير الموطأ ، وهذا الأمر لا يحتاج إلى دليل عند من عرف الكتب المأثورة ، التي هي أصول الشرع ، وعَلِمَ أيضاً كلام أهل العلم فيها وأنظارَ المجتهدين في شرحها ، أمّا المغفلون من أبناء هذا العصر، الذين هم معرضون عن هذا الأمر بالكلّيّة ، ومسوقون مثل الإبل المخطومة ، لا يدرون إلى أين يذهبون ، فهؤلاء في واد آخر ، ولا يمكن تكليفهم بفهم هذه الأمور .

الهجرة النبوية : دروس وعبر تصنع الأمم

الباحث خالد . ك*

مع إطلالة شهر الله المحرم ، تتجدد في قلوب المسلمين ذكرى عظيمة ومحطة تاريخية فارقة : الهجرة النبوية الشريفة . لم تكن هذه الهجرة مجرد انتقال جسدي من مكة إلى المدينة ، بل كانت تحولاً جذرياً في مسار الدعوة الإسلامية ، ونقطة انطلاق لبناء أمة ودولة ، ورمزاً خالداً للثبات والتضحية والأمل . في هذا الشهر المبارك ، الذي يبدأ به عام هجري جديد ، يحين بنا المقام لنتدبر في الدروس العميقة والعبر الخالدة التي خطّتها هذه الرحلة المباركة ، وكيف يمكن أن نستلهم منها منهج حياة يُعيننا على بناء حاضرنا ومستقبلنا على أسس الإيمان والتخطيط والتوكل .

التضحية والإخلاص لله تعالى :

من أولى العبر التي نتعلمها من الهجرة هي التضحية العظيمة في سبيل الله . لقد ضحى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببلده الذي أحبه ، وبذل الصحابة الكرام رضي الله عنهم أموالهم وديارهم وأهليهم في سبيل نصرة الدين وإعلاء كلمة الله . فها هو النبي صلى الله عليه وسلم يخرج من مكة وهو يقول بقلبٍ يعتصره الألم : " والله إنك لأحب أرض الله إلى الله ، وأحب أرض الله إليّ ، ولولا أن أخرجت منك ما خرجت " . [رواه الترمذي في سننه ، كتاب المناقب ، باب في فضل مكة ، رقم الحديث : ٣٩٢٥ ، وقال حديث حسن صحيح] . وهذا صهيب الرومي يترك كل ماله لقريش ليفسحوا له المجال للهجرة ، فيربح بيعه مع الله . وهؤلاء المهاجرون يتركون كل عزيز لديهم ، فيعوضهم الله تعالى خيراً مما تركوا ، بفتح الدنيا عليهم وتمكينهم في الأرض .

إن هذا يعلمنا أن الإخلاص في العمل لله تعالى هو أساس قبول الأعمال وبركتها . فقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يبذل ماله ونفسه في سبيل الله ورسوله ، ورغم ذلك رفض النبي صلى الله عليه وسلم

* باحث الدكتوراه ، تحت إشراف د . فردوس ، قسم اللغة العربية بكلية أم إي أس ممباد ، جامعة كالكوت ، كيرالا ، الهند .

أن يأخذ الراحلة منه إلا بالثمن ، تأكيداً على أهمية أن تكون النفقة في سبيل الله خالصةً من مال المرء ، وأن كل عمل تعبدي يفتقر إلى النفقة ، الأولى أن تكون نفقته من ماله الخاص . وهذا يؤكد حديث " إنما الأعمال بالنيات " : " عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ؛ فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ؛ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوْ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ " . [متفق عليه ، رواه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي ، رقم الحديث : ١ ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الإمارة ، باب قوله صلى الله عليه وسلم : إنما الأعمال بالنية ، رقم الحديث : ١٩٠٧] . فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه .

التخطيط المحكم والأخذ بالأسباب مع التوكل على الله :

إن الهجرة النبوية أبلغ دليل على أهمية التخطيط الدقيق والأخذ بالأسباب ، حتى مع كمال التوكل على الله . فالنبي صلى الله عليه وسلم ، وهو المؤيد بالوحي ، لم يعتمد على المعجزات وحدها ، بل وضع خطة محكمة للهجرة ، ووزع الأدوار بعبقرية وحكمة . فكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه فدائياً ينام في فراش النبي صلى الله عليه وسلم ، وعبد الله بن أبي بكر رضي الله عنه كان يقوم بدور الاستخبارات ونقل الأخبار ، وأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها كانت تقوم بدور التموين وإعداد الطعام ، وعامر بن فهيرة رضي الله عنه كان يزيل آثار الأقدام ، وعبد الله بن أريقط ، وهو مشرك لكنه أمين وماهر ، كان دليلاً على الطريق .

هذا التخطيط الدقيق لا يتعارض أبداً مع التوكل الصادق على الله . بل هو عين التوكل ، فالنبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا أن الأسباب لا بد منها ، وأن الله قادر على كل شيئ ، ولكنه أراد أن يعلمنا أن نأخذ بالأسباب مع الثقة المطلقة به . ففي الغار ، حين خاف أبو بكر على النبي صلى الله عليه وسلم ، أجابه النبي صلى الله عليه وسلم بكل ثقة ويقين : " لا تحزن ، إن الله معنا ، ما ظنك باثنين الله ثالثهما ؟ " [رواه البخاري في صحيحه ، كتاب التفسير ، سورة التوبة ، باب (إلا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ) ، رقم الحديث : ٤٦٨٣] . وقد رأينا كيف حول الله سراقة بن مالك ، الذي جاء طالباً لهما ،

إلى ناصر ومعين يذب عنهما ، وذلك حين قال له النبي صلى الله عليه وسلم : " أخف عنا " . [رواه البخاري في صحيحه ، كتاب مناقب الأنصار ، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة ، رقم الحديث : ٣٩٠٦] .

الإخاء والتعاون وبناء المجتمع :

في المدينة المنورة ، تجلت معاني الإخاء والإيثار بأبهى صورها بين المهاجرين والأنصار . لقد تناسى أهل المدينة خلافاتهم وحروبهم القديمة ، واحتضنوا إخوانهم المهاجرين بكل حب وإيثار . كان الأنصاري يقاسم أخاه المهاجر كل ما يملك ، بل ويعرض عليه ماله وبيوته وزوجاته ، في مشهد لا مثيل له في تاريخ الإنسانية ، بينما كان المهاجر يتعفف ويطلب أن يدله على السوق ليعمل ويكتسب . هذا التآخي هو الأساس الذي قامت عليه الدولة الإسلامية في المدينة ، وهو ما أشار إليه القرآن الكريم بقوله تعالى : (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّه جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللّه عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً ، وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) [آل عمران : ١٠٣] .

إن هذا الدرس يدعونا إلى نبذ التهاجر والتناحر والاتحاد على كلمة سواء ، لبناء مجتمعاتنا ووطننا . فالأمة الإسلامية متى اجتمعت واتحدت ، لم يستطع أحد النيل منها ، لأن يد الله مع الجماعة .

السعي على الرزق والكسب والعمل :

من الدروس العملية المهمة في الهجرة ، التأكيد على قيمة السعي على الرزق والكسب الحلال . فعلى الرغم من الإيثار العظيم من الأنصار ، لم يقعد المهاجرون عن العمل ، بل سعوا في الأرض طلباً للرزق . ومثال ذلك عبد الرحمن بن عوف الذي سأل سعد بن الربيع أن يدله على السوق ، وما هي إلا فترة وجيزة حتى أصبح من أغنى أغنياء المدينة .

لقد حث الإسلام على العمل والاحتراف ، وقد كان جميع الأنبياء عليهم السلام يعملون ويتكسبون . فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ؛ عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ . فَقَالَ أَصْحَابُهُ : وَأَنْتَ ؟! فَقَالَ : نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لأَهْلِ مَكَّةَ " . [رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الإجارة ، باب رعي الغنم على قراريط ، رقم الحديث : ٢٢٧٢] . ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم كان يعمل بيده ويساعد أهله ، ليرغب المسلمين في العمل والبناء والتعمير . فمن

العار أن يكون المسلم عالةً على غيره ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، كما في الحديث : " لأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ فَيَتَصَدّقَ مِنْهُ فَيَسْتَغْنِيَ بِهِ عَنْ النّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ رَجُلاً أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ ذَلِكَ فَإِنّ الْيَدَ الْعُلْيَا أَفْضَلُ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ " . [رواه الترمذي في سننه ، كتاب الزكاة ، باب ما جاء في كراهية المسألة ، رقم الحديث : ٦٨١ ، وقال : حديث حسن صحيح] .

الثبات على الموقف والبحث عن الحل الشامل :

الهجرة تعلمنا أيضاً الثبات على الموقف الحق ورفض الحلول الترقيعية والتخديرية . فالنبي صلى الله عليه وسلم رفض كل مساومات المشركين التي كانت تهدف إلى التنازل عن مبادئ الدين ، ومضى يبحث عن حل شامل لدعوته ، وهو إقامة دولة الإسلام . وهذا يؤكد أن الحل الشامل لأزمات الأمة يكمن في استقلالها الكامل والتخلص من التبعية الفكرية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية لأي جهة .

هجرة المعاصي والآثام :

ختاماً ، تذكرنا الهجرة النبوية بمعنى أعمق للهجرة ، وهي هجرة المعاصي والآثام . فالمهاجر الحقيقي هو من هجر ما نهى الله عنه . قال تعالى : (وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ) [المدثر : ٥] . وقال صلى الله عليه وسلم : " المُسلم من سَلِم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر مَن هجر ما نَهى الله عنه " . [متفق عليه ، رواه البخاري في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، رقم الحديث : ١٠ ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل ، رقم الحديث : ٤٠] . وإذا لم يكن في حقنا الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام ، فإنه يجب علينا الهجرة من معصية الله إلى طاعته وطاعة رسوله . وعلينا أن نخرج من المظالم ، فلا نظلم عاملاً ولا أي إنسان ، فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم : " الظلم ظلمات يوم القيامة " . [رواه البخاري في صحيحه ، كتاب المظالم والغصب ، باب الظلم ظلمات يوم القيامة ، رقم الحديث : ٢٤٤٧] .

إن الهجرة النبوية هي حدث خالد في ذاكرة الأمة ، يحمل في طياته دروساً لا تنضب ، لو استلهمتها الأمة وطبقتها في واقعها ، لعادت لها عزتها ومجدها . فاللهم اجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

قضايا معاصرة حول التعليم والتعلم على خلاف الجنس عبر الإنترنت

(الحلقة الثانية)

د . المفتي محمد مصطفى عبد القدوس الندوي*

(٣) حكم تدريس المعلمة الطلبة الشباب عبر الإنترنت من خلال الصوت فحسب :

وقد علم أن صوت المرأة ليس بعورة على الراجح أصلاً كما سبق مفصلاً مع الأدلة العقلية والنقلية الدالة عليه ، ولكنه عورة إن خيف منه حدوث الفتنة ، وبعبارة أخرى معلل بالفتنة ؛ فإن كان يخشى منه حدوث الفتنة فهو عورة وإلا فلا ؛ لما في ذلك من إغراء الرجال بها وطمعهم فيها ؛ لأن المرأة موضع قضاء وطر الرجال ، فهم يميلون إليها بدافع غزيرة الشهوة ؛ فيفتنون بصوتها كما يفتنون بحسن وجهها [١] وبسبب صوتها فتنة نهى الله عز وجل النساء من ضرب الأرجل على الأرض ؛ فقال : (وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ) [النور : ٣١] . وجه الدلالة أن الضرب بالأرجل جائز في نفسه ؛ ولكن الله تعالى نهى النساء عن الضرب بالأرجل ؛ لئلا يكون سبباً إلى سماع الرجال صوت الخلخال فينشر ذلك دواعي الشهوة منهم إليهن . وبهذا السبب جعل النبي صلى الله عليه وسلم التسبيح للرجال والتصفيق للنساء في الصلاة ؛ فقال عليه الصلاة والسلام : " مَا لِي رَأَيْتُكُمْ أَكْثَرْتُمُ التَّصْفِيقَ ، مَنْ رَابَهُ شَيْءٌ فِي صَلَاتِهِ ، فَلْيُسَبِّحْ فَإِنَّهُ إِذَا سَبَّحَ التُفِتَ إِلَيْهِ ، وَإِنَّمَا التَّصْفِيقُ لِلنِّسَاءِ " [٢] .

وسبب آخر أنه ربما يكون صوت المرأة الأجنبية سبباً لتحريك شهوة الرجل ، ويجذبه إلى نفس المرأة كمقناطيس الحديد ، ويحدث ثوران

* عميد كلية البحث والتحقيق بجامعة العلوم غرها – غجرات .

[١] المجموع شرح المهذب للنووي : ٧٦/٣ ، المبسوط للسرخسي : ١٣٥/١ .

[٢] أخرجه البخاري في الأذان ، بَابُ مَنْ دَخَلَ لِيَؤُمَّ النَّاسَ ، فَجَاءَ الإِمَامُ الأَوَّلُ ، فَتَأَخَّرَ الأَوَّلُ أَوْ لَمْ يَتَأَخَّرْ ، جَازَتْ صَلاَتُهُ ، برقم : ٦٨٤ .

الشهوة إليها والتعرض للفتنة ، ثم يوصل إلى الزنا المحرم شرعاً ؛ فالبعد عن أسبابها أقرب إلى السلامة وعدم شيوع المنكر وظهور الفحش ؛ ففي القضية المبحوث فيها الآن أن يتعلم كل واحد من الصنفين من جنسه دون خلاف جنسه ، هذا أحسن وأسلم وأبعد من الفتنة .

وعلى رغم ذلك إن كانت امرأة معلمة تدرّس الطلبة الشباب عبر الإنترنت من خلال الصوت دون مكشوف الوجه ، فهل يسوغ لها ذلك شرعاً ويجوز ؟ والجواب ظاهر أن ذلك يجوز ؛ لأن ذلك لا يؤدي إلى الفتنة على وجه العموم إلا نادراً ، ومن الأصول أن الذرائع التي لا يكون إفضاؤها إلى المفسدة إلا نادراً ، لم تكن ممنوعة ، مثل بيع الأغذية التي غالبها أن لا تضر أحداً ، يجوز شرعاً ؛ لأن هذا باق على أصل الإذن العام " الأصل في الأشياء الإباحة ، والأصل عدم الضرر " ، هو الحكم المشروع الجواز ، والدليل على ذلك أن ضوابط المشروعات هكذا كالقضاء بالشهادة في الدماء والأموال والفروج مع إمكان الكذب والوهم والغلط ؛ ولكن ذلك كله نادر ، فلم يعتبر واعتبرت المصلحة [1] . ثم لأن الشارع أناط الأحكام بغلبة المصلحة ، ولم يعتبر ندور المفسدة ؛ فلا عبرة بالنادر .

(٤) حكم تدريس المعلمة الطلبة الشباب عن خلال الفيديو عبر الإنترنت ؟

هل يجوز للمعلمة أن تعلّم الطلبة الشباب عن طريق الفيديو مكشوفة الوجه ؟ وهل يكون الفرق بين المعلمة المسنة والمعلمة الشابة من منظور الشرع الإسلامي ؟

إن الإسلام يريد بناء السيرة الإنسانية لامعةً مميزةً عن البهائم ، وبتأسيس المجتمع الإنساني منزَّهاً من جميع الخبائث بإقامة الحدود على الناس وفرض القيود عليهم ، وبإجراء القوانين عليهم رغبةً ورهبةً ، فسدّاً لباب الفتنة والفساد حرّم النظر إلى الأجنبية ؛ فإن النظر هو سلاح خطير من أسلحة الشيطان وسهم مسموم من سهام إبليس المردود ، هو أول منفذ لأم الخبائث ، وهو الباب الأكبر للوصول إلى القلب ، قال الشاعر :

ألم تر أن العين للقلب رائد فما تألف العينان فالقلب آلف

وفي القرآن الكريم أمر الله سبحانه وتعالى الرجال والنساء أجمعين بغض البصر عما يحرم إليه النظر ، فقال : (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ . وَقُلْ

[1] أصول الفقه لأبي زهرة ، ص ٢٩١ ، نقلاً عن الموافقات للشاطبي : ٢٤٩/٢ .

لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ) [النور : ٢٩ – ٣٠] .

وفي الخبر : عنْ حُذَيْفَةَ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " النَّظْرَةُ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ مَسْمُومَةٌ فَمَنْ تَرَكَهَا مِنْ خَوْفِ اللَّهِ أَثَابَهُ جَلَّ وَعَزَّ إِيمَانًا يَجِدُ حَلاوَتَهُ فِي قَلْبِهِ " [1] ، وفي رواية عَنِ ابْنِ عُمَرَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " النَّظْرَةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ الشَّيْطَانِ فَمَنْ تَرَكَهَا مَخَافَتِي أَعْقَبْتُهُ عَلَيْهَا إِيمَانًا يَجِدُ طَعْمَهُ فِي قَلْبِهِ " [2] . وعَنْ أَبِي رَيْحَانَةَ ، أَنَّهُ كَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ فَسَمِعَهُ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَهُوَ يَقُولُ :

" حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ سَهِرَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَحُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ دَمَعَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ " قَالَ : وَقَالَ : الثَّالِثَةُ فَنَسِيتُهَا ، قَالَ أَبُو شُرَيْحٍ : سَمِعْتُ مَنْ يَقُولُ : ذَاكَ " حُرِّمَتِ النَّارُ عَلَى عَيْنٍ غَضَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللَّهِ ، أَوْ عَيْنٍ فُقِئَتْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ " [3] . وعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ " [4] . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " وَالنِّسَاءُ حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ " [5] .

واتضح مما سبق أن غض البصر عما يحرم النظر إليه واجب ، ونظر الفجاءة التي لا تعمد فيها معفوه عنها ، وذلك مرة واحدة لا الآخرة ؛ لأنها عن اختيار وقصد ، كذلك يحرم إدامة النظر إليها وإطالته في الأولى

---

[1] أخرجه الحاكم في المستدرك ، برقم : ٧٨٧٥ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ، والطبراني في المعجم الكبير ، برقم : ١٠٣٦٢ ، والشهاب القضاعي في مسنده ، برقم : ٢٩٢ .

[2] أخرجه الشهاب القضاعي ، في مسنده ، برقم : ٢٩٣ .

[3] أخرجه الدارمي في الجهاد ، بَابٌ فِي الَّذِي يَسْهَرُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَارِساً ، برقم : ٢٤٤٥ ، قال المحقق : إسناده جيد ، والحاكم في المستدرك في الجهاد ، برقم : ٢٤٣٢ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ، ووافقه الحافظ الذهبي بقوله : صحيح ، والطبراني في المعجم الكبير ، برقم : ١٠٠٣ ، والبزار في مسنده ، برقم : ٨٥٧٠ ، وأبو يعلى الموصلي في مسنده ، والبيهقي في السنن الكبرى في السير ، بَابُ فَضْلِ الْحَرْسِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، برقم : ١٨٤٤٥ .

[4] أخرجه البخاري في النكاح ، بَابُ مَا يُتَّقَى مِنْ شُؤْمِ الْمَرْأَةِ ، برقم : ٥٠٩٦ ، ومسلم في الرقاق ، بَابُ أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْفُقَرَاءُ وَأَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ النِّسَاءُ وَبَيَانِ الْفِتْنَةِ بِالنِّسَاءِ ، برقم : ٩٧ – (٢٧٤٠) .

[5] أخرجه أبو داود في الزهد ، برقم : ١٦٠ ، وابن شيبة في مصنفه ، برقم : ٣٤٥٥٢ .

لما دخله القصد والاختيار والتعمد ؛ فإذا تقرر أن النظر الممنوع المحرّم هو النظر بالقصد والاختيار كما دل عليه أمر الله المؤمنين بغض البصر في سورة النور : ٢٩ ، وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم المذكورة أعلاها ، فيحرم النظر إليها في المرة الأولى أيضاً إذا كان عن قصد وتعمد ، لأن النظر إليها بالتعمد والاختيار أمارة النظر عن شهوة ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : " يَا عَلِيُّ إِنَّ لَكَ كَنْزاً فِي الْجَنَّةِ ، وَإِنَّكَ ذُو قَرْنَيْهَا فَلا تُتْبِعَنَّ النَّظْرَةَ نَظْرَةً ، فَإِنَّ لَكَ الأُولَى وَلَيْسَتْ لَكَ الآخِرَةَ " [١] . وقال ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه : " سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم عَنْ نَظَرِ الْفُجَاءَةِ فَأَمَرَنِي أَنْ أَصْرِفَ بَصَرِي " [٢] . وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَنْظُرُ إِلَى مَحَاسِنِ امْرَأَةٍ أَوَّلَ مَرَّةٍ ، ثُمَّ يَغُضُّ بَصَرَهُ إِلا أَحْدَثَ اللَّهُ لَهُ عِبَادَةً يَجِدُ حَلاوَتَهَا " [٣] .

قال أبو بكر الجصاص في تفسير آية غض البصر من سورة النور : ٢٩ : " معقول من ظاهر الآية أنه أمر بغض البصر عما حرم علينا النظر إليه " [٤] .

قال الفقيه السرخسي : " النظرة عن شهوة والمس عن شهوة نوع زنا " [٥] .

(١،٤) حكم النظر إلى الأجنبية بلا سبب :

اختلف فقهاء الإسلام فيه يسيراً ؛ فقالت الشافعية : يحرم نظر

---

[١] أخرجه الترمذي ، في الاستيذان ، بَابُ مَا جَاءَ فِي نَظْرَةِ الْفُجَاءَةِ ، برقم : ٢٧٧٧ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ ، لا نَعْرِفُهُ إِلاَّ مِنْ حَدِيثِ شَرِيكٍ ، وأبو داود في النكاح ، باب ما يؤمر به من غضّ البصر ، برقم : ٢١٤٩ ، قال الأرنؤوط : حسن لغيره ، والحاكم برقم : ٤٦٢٣ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ ، ووافقه الحافظ الذهبي بقوله : صحيح .

[٢] أخرجه مسلم في الآداب ، بَابُ نَظَرِ الْفُجَاءَةِ ، برقم : ٤٥ – (٢١٥٩) ، والترمذي في الاستيذان ، بَابُ مَا جَاءَ فِي نَظْرَةِ الْفُجَاءَةِ ، برقم : ٢٧٧٦ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ ، والحاكم في المستدرك في التفسير ، تَفْسِيرُ سُورَةِ النُّورِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، برقم : ٣٤٩٨ ، وقال : " هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الإِسْنَادِ ، وَقَدْ أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ " ، ووافقه الحافظ الذهبي : بقوله : صحيح .

[٣] أخرجه أحمد في مسنده ، برقم : ٢٢٢٧٨ ، الأرنؤوط وغيره من المحققين : إسناده ضعيف جداً ، والبيهقي في شعب الإيمان في المقدمة : ٣٠٥/٧ ، برقم : ٥٠٤٨ .

[٤] أحكام القرآن للجصاص : ٣١٥/٣ ، راجع أيضاً : روح المعاني للآلوسي : ١٣٨/١٨ .

[٥] المبسوط : ١٤٩/١٠ ، الاستحسان .

فحل بالغ عاقل مختار ولو شيخاً كبيراً ، وعاجزاً عن الوطأ ، ومخنثاً (وهو المتشبه بالنساء) إلى جميع جسد المرأة الأجنبية عند خوف الفتنة أو عند الأمن منها ، سواء كان نظره بشهوة أم بغيرها على الصحيح ؛ لأن النظر مظنّة الفتنة ، ومحرك الشهوة [1] ؛ ولقوله تعالى : (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) [النور : ٢٩] ، ولحديث علي رضي الله عنه : في إرداف الرسول صلى الله عليه وسلم الفضل بن عباس رضي الله عنه خلفه في حجة الوداع في قصة الخثعمية [2] .

كذلك حرم الحنابلة نظر الرجل إلى الأجنبية جميعها من غير سبب ، بدون استثناء الوجه والكفين [3] ، ولهم نفس الأدلة المذكوره أعلاها ، وقوله تعالى أيضاً : (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعاً فَاسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ) [الأحزاب : ٥٣] .

وعند الحنفية يحرم النظر إلى المرأة الأجنبية بلا سبب سوى الوجه والكفين [4] عند الأمن من الفتنة بدون شهوة لقوله تعالى : (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) [النور : ٣١] . قال علي وابن عباس رضي الله عنهما : (مَا ظَهَرَ مِنْهَا) : الكحل والخاتم ، أي : موضعهما ، وهو الوجه والكف [5] .

والحاصل أن الشافعية والحنابلة حرموا نظر الرجل إلى جميع جسد المرأة الأجنبية مطلقاً ، من غير سبب ، بدون استثناء الوجه والكفين ، وعند الحنفية يحرم النظر إلى المرأة الأجنبية بلا سبب سوى الوجه والكفين عند الأمن من الفتنة بدون شهوة ، و أما عند خوف الفتنة وبالشهوة يحرم النظر إليهما أيضاً .

(٢،٤) حكم النظر إلى الوجه والكفين :

قد سبق آنفاً أن النظر إلى وجه الأجنبية وكفيها حرام عند الحنابلة والشافعية مطلقاً . فأما الحنفية فعنده يجوز النظر إلى الوجه والكفين بلا شهوة عند الأمن من الفتنة ، وبه قالت المالكية [6] ؛ بما روي

---

[1] شرح صحيح مسلم للنووي : ١٠١/٢ .
[2] المجموع شرح المهذب : ١٧/١٥ .
[3] المغني لابن قدامة : ٧٨/٧ .
[4] بدائع الصنائع : ١٢٣/٥ ، كتاب الإحسان .
[5] فتح القدير : ٤٦١/٩ .
[6] شرح الجليل : ١٢٣/١ .

أَنَّ امْرَأَةً عَرَضَتْ نَفْسَهَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [1] ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " مَا لِي فِي النِّسَاءِ مِنْ حَاجَةٍ " [2] ، معناه أن النبي الكريم صلى الله عليه وسلم نظر إليها ، فلم ير فيها رغبة . ولما كان عمر بن الخطاب يخطب يوم الجمعة قامت في أثناء خطبته سفعاء الخدين ، وفي رواية : مسفرة عن وجهها ، وما روي فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم نالت أحد ولديها بلالاً وأنساً ، قال رأيت كفها . فدل كل ذلك على أنه لا بأس بالنظر إلى الوجه والكفين من المرأة الأجنبية إذا كان الرجل يأمن على الشهوة والفتنة [3] وإن كان لا يأمن من الشهوة ، أو كان غالب رأيه أن يشتهي يحرم أصلاً [4] . وإن كان يأمن على نفسه من الشهوة فجاز له النظر من منظور الشرع الإسلامي عند الحاجة بلا كراهة ، وعند عدم الحاجة مع الكراهة [5] ؛ بما روي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " الْعَيْنَانِ تَزْنِيَانِ ، وَاللِّسَانُ يَزْنِي ، وَالْيَدَانِ تَزْنِيَانِ ، وَالرِّجْلانِ تَزْنِيَانِ ، وَيُحَقِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ أَوْ يُكَذِّبُهُ " [6] . وفي رواية عنه عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَا ، مُدْرِكٌ ذَلِكَ لا مَحَالَةَ ، فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ ، وَالأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الاسْتِمَاعُ ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلامُ ، وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَا ، وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى ، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ " [7] .

والحاصل أن المالكية يتفقون مع الحنفية في ذلك ؛ فإنهم أجازوا رؤية الوجه والكفين من العجوز ، وحرموا ذلك من الشابة إلا لعذر .

(للبحث صلة)

---

[1] أخرجه البخاري في النكاح ، بَابُ عَرْضِ المَرْأَةِ نَفْسَهَا عَلَى الرَّجُلِ الصَّالِحِ ، برقم : ٥١٢١

[2] أخرجه الدارمي في النكاح ، بَابُ مَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَهْراً ، برقم : ٢٢٤٧ ، قال المحقق : إسناده صحيح .

[3] فتح القدير والكفاية معه : ٤٦٠/٩ – ٤٦٢ ، المبسوط : ١٥٢/١٠ – ١٥٣ ، تحفة الفقهاء : ٣٣٣/٣ .

[4] تحفة الفقهاء : ٣٣٣/٣ .

[5] رد المحتار : ٢٩٩/١ ، الهندية : ٣٢٩/٥ .

[6] أخرجه ابن حبان في صحيحه ، برقم : ٤٤١٩ ، قال المحقق شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط مسلم .

[7] أخرجه مسلم في القدر ، بَابُ قُدِّرَ عَلَى ابْنِ آدَمَ حَظُّهُ مِنَ الزِّنَا وَغَيْرِهِ ، برقم : ٢١ – (٢٦٥٧) .

المستشرقون وترجمات معاني القرآن : دراسة نقدية

د . طارق أحمد أهنغر*
الأخ إشفاق أحمد واني♣

مما لا مرية فيه أن الطابع العام في مجال الدراسات عند المستشرقين هو الدقة والضبط ، وهذا هو الذي نجد في دراستهم القرآن وعلومه تدويناً وتحقيقاً وفهرسةً وغيرها . فلهم جهود ملموسة في تلك المجالات كلها مما لا يمكن رفضها أو ازدراؤها . وأما إسهاماتهم في ترجمة القرآن فقد بدأت مبكراً بعيد الفتوحات الإسلامية للأندلس وغيرها من البلدان العجمية ، فاحتاج المسلمون الجدد إلى فهم القرآن ومعرفة أحكامه ، فبدأ البعض منهم في تعلم اللغة العربية وتمت على أيديهم المحاولات الأولى للترجمة ؛ مثل " كشف الأسرار وعدة الأبرار " ، الذي هو ترجمة وتفسير للقرآن بالفارسية ، وكان ذلك في القرن الحادي عشر للميلاد . ثم تبعها محاولات المستشرقين في ترجمة القرآن ، وكانت النية وراء أغلب هذه المحاولات سيئة تسعى إلى تشويه معاني القرآن وإفساده

جاءت ترجمات المستشرقين على قسمين ؛ ترجمة القرآن كله ، وترجمة لبعض سور القرآن وأجزائه . وممن ترجم القرآن كاملاً أبقاه على ترتيبه المصحفي المأثور مثل ترجمة جورج سيل (George Sale) ، وألكسندر روس (Alexender Ross) ، وأرثرأربري (Arberry Aurthur) وغيرها . ومنهم من غير ترتيبه المأثور في ترجمته ، ورتب السور ترتيباً زمناً حسب نزولها ظناً منهم أن يتبين منه التطور الفكري لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ونحا هذا النهج جون رادويل (Rodwell) حيث بدأ ترجمته بسورة (العلق) واختتمها بسورة (المائدة) ، وتبعه بالمر (Palmer) ، و ريتشارد بل (Richard Bell) . أما ترجمات بعض السور والمقتبسات فمن أمثلتها ترجمة ستانلي لين بول (Stanley Lane-Poole) الذي أسماها –

* الأستاذ المساعد ، جامعة كشمير ، الهند ، البريد : traiqarabic@gmail.com
♣ الباحث في الدكتوراه ، جامعة كشمير ، الهند ، البريد : ishfaqwani.scholar@kashmiruniversity.net

بسبب حقده على الإسلام – " مسامرات محمد/ The Speeches and Table-Talk of the Prophet Mohammad " ، وترجمة المدعو جوزيف (Joseph) سماها " أخلاق الشرق الممثلة في قرآن محمد/ The Morality of the East: Extracted from the Koran of Mohammed " وغيرها [1] .

إن أول وأقدم ترجمة عرضها المستشرقون هي ترجمة الراهب الإنجليزي روبرتوس كيتينيسيس (Robertus Ketenensis) الذي ترجم القرآن إلى اللغة اللاتينية بطلب من الراهب بطرس المبجل حين زار أسبانيا ، فجمع مجموعةً من الرجال وأمرهم بالكتابة ضد الإسلام ، وكلف روبرتوس بإنجاز ترجمة القرآن ليستخدموها في دراساتهم اللاهوتية ، وكانروبرتس مُلمّاً باللغة العربية حيث ترجم عديداً من الكتب العربية إلى اللاتينية ، وانتهى بترجمته للقرآن عام ١١٤٣م . وظلت الترجمة مخطوطةً قرابة أربعة قرون لأن الدوائر النصرانية منعت من طبعها وإظهارها خشية فتنة المسيحيين في دينهم ، وهذا بالرغم من التحريفات التي احتوتها في معاني القرآن . ثم قام الطابع ثيودور ببلياندر Theodore Bibliander بطابعتها عام ١٥٤٣م ، وبعد طبعها أصبحت مرجعاً رئيسياً للتعرف على القرآن كما صارت أساساً للترجمات حيث تتابعت الترجمات العديدة في اللغات الأوروبية الأخرى مستندةً ومعتمدةً على ترجمة روبرت [2] .

وقد حفلت هذه الترجمة بالأخطاء الفاحشة من ناحية الترجمة ، مع ما فيها من كثرة الحذف والإضافة التي تحيل المعنى ، والإفراط في تصرف النص القرآني بحرية مفرطة تصعب بها تمييز النص الأصلي . وقد اعترف به المستشرقون أنفسهم ، منهم يوهان فوك (Johann Fück) حيث قال : " وترجمة روبرتوس للقرآن زخر بأخطاء جسيمة ، سواءٌ في المعنى أو في المبنى ، ولم يكن أميناً ؛ إذ أغفل ترجمة العديد من المفردات ، كما لم يتقيَّد بأصل السياق ، ولم يُقم وزناً لخصوصيات الأسلوب ، بل أعمل جهده لاستشفاف مضمون فكرة كل آية من كل سورة ثم ترجمتها وتقديمها بما لا يجافي المنطق " [3] . كما وصفها المستشرق جورج سيل بقوله : " إنها لا تستحق تسمية

[1] ينظر : ترجمات معاني القرآن الكريم وتطور فهمه عند الغرب ، ص ٣٥ .
[2] ينظر : المستشرقون وترجمة القرآن ، ص ٩٦ .
[3] تاريخ حركة الاستشراق ، ص ١٩ .

الترجمة ؛ لأنها تتخطى حدود الترجمة ، وتتصف بعيوب الزيادة والنقص بحيث لا يبقى لها أي شبه بالأصل " [1] وكيف كان له أن يعمل فيها بأمانة وتجرد فإنما كان يستهدف تحريف معاني القرآن وتشويهها من خلال هذه الترجمة بما كان له من حقد شديد للإسلام .

ومن ترجمات المستشرقين ترجمة المستشرق الفرنسي أندريه دي ريارAndré du Ryer الذي كان قنصلاً لملك فرنسا في مصر ، فقام بترجمة القرآن إلى اللغة الفرنسية في عام ١٦٤٧م وسماها " قرآن محمد " . ورغم ادعائه أنه ترجم القرآن من لغته الأصلي مباشرةً فقد احتوت بأخطاء كثيرة تدل على كذب دعواه ويبدو جلياً أنه ترجمة لغوية لترجمة روبرت اللاتينية كما قاله الدكتور حسن المعايرجيبل تأكد أنه لم يكن له معرفة باللغة الغربية أصلاً . ومن عيوب هذه الترجمة أن المترجم " لم يلق بالاً إلى النَّص الذي عالجه ، فجمع الآيات في مقال مُتواصل ضاعت فيه كرامة المعنى وجمال الأسلوب تحت وطأة تركيباته الجامدة وجمله الغامضة ، حتى ليصعب على الإنسان أن يعرف أنَّ هذه الترجمة السقيمة هي ترجمة لذاك الأصل وحتى القارئ لهذه الترجمة لا يمكن أن يتصور على الإطلاق " أنَّ هذا القرآن آية في كمال التعبير بالعربية " [2] . وقد شهد بذلك جورج سيل بقوله : "

---

[1] The Koran, preface (to the reader) P: VII

[2] https://turjomanquran.com/turjaman/article/١٦٢/%D٨٪AA%D٨%B١٪D٨٪AC%D٩٪٨٥٪D٨٪A٩-%D٨٪A٣٪D٩٪٨٦٪D٨٪AF%D٨٪B١٪D٩٪٨A%D٨٪A٩-%D٨٪AF%D٩٪٨A-%D٨٪B١٪D٩٪٨A%D٩٪٨٨٪D٨٪B١-(%D٨٪B١٪D٩٪٨A%D٩٪٨A%D٩٪٨٧)-(Andre-Du-Ryer)-%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٩٪٨١٪D٨٪B١٪D٩٪٨٦٪D٨٪B٣٪D٩٪٨A%D٨٪A٩-%D٨٪B٩٪D٨٪A٧٪D٩٪٨٥□١٦٤٧٪D٩٪٨٥-%E٢٪٨٠٪٩٣-%D٨٪A٨٪D٩٪٨٢٪D٩٪٨٤٪D٩٪٨٥:-%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪B٩٪D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٩٪٨٥-%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٨٪AC%D٩٪٨٤٪D٩٪٨A%D٩٪٨٤٪D٨٪٨C-%D٨٪A٣.-%D٨٪AF.-%D٨٪AD%D٨٪B٣٪D٩٪٨٦-%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٩٪٨٥٪D٨٪BA%D٨٪A٧٪D٩٪٨A%D٨٪B١٪D٨٪AC%D٩٪٨A-%E٢٪٨٠٪٩٣(%D٨٪B١٪D٨٪AD%D٩٪٨٥٪D٩٪٨٧-

إن هذا العمل بعيد كل البعد عن الترجمة بمعناها الحقيقي ، هناك أخطاء في كل صفحة ، وإبدال متكرر للنصوص ، وإسقاطها والإضافة إليها وهذه العيوب لا يمكن الصفح عنها في هذا النوع من العمل " [١] .

ومنها ترجمة ألكسندر روز ، سماها قرآن محمد The Alcoran of Mahomet ، وهي أول ترجمة للقرآن الكريم في اللغة الإنجليزية حيث قام بترجمتها عام ١٦٤٩م . وكان قد ألف كتاباً في مقارنة الأديان إلا أن ترجمته للقرآن لم تكن مباشرةً من لغته الأصلية بل من ترجمة أندريه دي ريار الفرنسية إلى الإنجليزية فتعتبر من نوع الترجمة المجسرة . وكان هدفه من هذه الترجمة نقد الإسلام والكشف عن أباطيل دين الأتراك في زعمه الباطل بما كان يحمل من التعصب الأعمى والجدل اللاهوتي العقيم . ويظهر ذلك من عنوان ترجمته وهو : " قرآن محمد المترجم من العربية إلى الفرنسية بواسطة السيد دي رييه . . . وهي ترجمة جديدة إلى الإنجليزية ارتياح لكل من يريد أن يتعرف على الأباطيل والتفاهات التركية " . ومن ثم تكررت فيها الأخطاء التي ارتكبها روبرت بل أضاف منها ، وقام بتحريف الكلم عن مواضعه وبحذفه في مواضع كثيرة . وقد انتقد جورج سيل هذه الترجمة بقوله : " ترجمة روس الإنجليزية لا تعدو كونها نسخة من ترجمة دو ريار وهي نسخة سيئة جداً ، لأن روس كان جاهلاً تماماً باللغة العربية ، ولم يكن متمكناً من اللغة الفرنسية ، فأضاف قائمةً من الأخطاء الجديدة على ترجمة دو رييه ، بالإضافة إلى لغته الدنيئة التي تجعل كتاباً قيماً سخيفاً تافهاً " [٢] .

ومن أهم هذه الترجمات ترجمة المستشرق الإنجليزي جورج سيل التي تعد أول ترجمة مباشرة من اللغة العربية إلى الإنجليزية ، وهي من أكثر الترجمات انتشاراً وشهرة . وكان جورج محامياً وعضواً نشطاً في جمعية تعزيز المعرفة المسيحية . له تأليفات قيمة ومنها ترجمة القرآن الكريم حيث كان قد درس العربية في أوقات فراغه ، وصدرت الترجمة في عام ١٧٣٤/ بعنوان : The Koran: Commonly called the AlKoran of

%D٨٪A٧٪D٩٪٨٤٪D٩٪٨٤٪D٩٪٨٧)-..

[١] The Koran, Goerge Sale, p: VII

[٢] نفس المصدر .

Mohammed أي : " القـرآن ؛ المعـروف بقـرآن محمـد عـادة " . وجـدير بالذكر أن ترجمته أحسن مما سبق من ترجمات المستشرقين . وعلى الرغم من ادعائه بالتزام النص الأصلي من القرآن وعدم اعتماده على ترجمة الكاهن مراتتشي اللاتينية التي صدرت عام ١٦٩٨م فقد يظهر من ترجمته أنه اتكأ على ترجمة مراتشي كثيراً لا سيما في تعليقاته حيث اعتمد عليها في ذلك اعتماداً كثيراً على تعليقاته ، ولم يرجع إلى المصادر العربية الأصلية إلا تفسير البيضاوي . وقد شهد المستشرق رودويل بتأثر ترجمة مراتشي على ترجمة سيل بقوله : " إن فضل ترجمة سيل يعود بشكل رئيسي إلى الإجادة والبحوث التي قام بها مراتشي " [١] . ومن ثم كان من البديهي أن يقع فيما وقع فيه مراتشي من الأخطاء في ترجمة النص القرآني ، بل أدخل فيها عبارات تفسيرية وتأويلية تحرف المعنى كما أسقط بعض الألفاظ أو العبارات من الأصل في الترجمة إضافة إلى أخطائه بسبب عدم فهم النص أصلاً ، وسنبين ذلك من خلال الأمثلة الآتية ذكرها .

ومن أهمها ترجمة المستشرق القسيسج . م . رادويل الذي كان مشرفاً على كنيسة في لندن ، وأستاذاً للدراسات الشرقية في جامعة كمبرج . طبع عام ١٨٨٦م وسماها : The Koran Translated from The Arabic أي القرآن مترجماً من اللغة العربية . ولم يكن متضلعاً من اللغة العربية بل كانت معرفته بها معرفة سطحية لا تؤهل صاحبها لعملية ترجمة القرآن [٢] ، ومن ثم استعان بترجمة سيل ومراتشي وهلمان ، وعلى الرغم من ذلك فقد بذل جهداً كبيراً في الترجمة واستعمل فيها اللغة المعاصرة فجاءت بأسلوب علمي حديث . وقد بينا أنه غير ترتيب السور ووضعها حسب تاريخ نزولها في زعمه ، واعتمد في ذلك على بحوث نولدكه Noldeke ووليم موير Willaim Muir في تاريخ نزول السور والآيات القرآنية . وثمة حواش لإيضاح المعنى أو إحالات إلى الآي الأخرى إحالات إلى المصادر التي اعتمد عليها . وقد نالت ترجمته شهرة كبيرة وقبولاً واسعاً حيث طبعت مرات عديدة إلى أن قام القس مارجليوث

---

[١] The Koran Translated from the Arabic, p: ١٦,١٧

[٢] ينظر : ترجمات معاني القرآن الكريم وتطور فهمه عند الغرب ، ص ٥٢ .

G. Margoliouth بتحقيقها وطبعها عام ١٩٠٩م وكتب لها مقدمةً موجزةً . وفي عام ١٩٩٤م طبع بتحقيق آلان جونز Alan Jones مدرّس اللغة العربية والدراسات الإسلامية في جامعة أكسفورد فحذف مقدمة رادويلومارجليوث وأبدلهما بمقدمته كما أعاد ترتيب السور على ما كانت ، وهذه الترجمة كغيرها من الترجمات تحتوي على أخطاء شنيعة غير قليلة وبعض التحريفات للنص القرآني كما سنبين ذلك من خلال الأمثلة . ولا غرو أن هذه الترجمة أجود مما سبق ذكرها .

ومنها ترجمة جون آربري Arthur John Arberry الذي برز في الدراسات الإسلامية لا سيما التصوف والأدب الفارسي . وكان من تلاميذ الأستاذ رينولدنيكلسون حيث درس العربية على يديه وتأثر به تأثراً كبيراً فنسج على منواله . ثم عين رئيساً لقسم الدراسات القديمة في كلية الآداب بالجامعة المصرية . وله أعمال بارزة في الدراسات الإسلامية وفي مجال التحقيق وتحقيق المخطوطات وفي مجال الترجمة حيث ترجم عديداً من الكتب الفارسية والعربية إلى الإنجليزية . وترجمته للقرآن من أجل أعماله ، وجدير بالذكر أنه كان منصفاً في دراساته ولم يكن متحيزاً كغيره من المستشرقين الذين شوهوا صورة الإسلام وأفشوا الأكاذيب عن تعاليمه ، وفي هذا الصدد يقول آربري : " قبل أن يتيسر إقرار الحق عن الشرق وشعوبه في الضمير المشترك في الغرب ، ينبغي إزالة حشد هائل من الباطل وسوء الفهم والأكاذيب المتعمدة . وإنه لجزء واجب على المستشرق ذي الضمير الحي القيام بهذه الإزالة . لكن لا تدعه يحسب أن هذه المهمة سهلة ، أو أنه خصوصاً سيلقى عنها الجزاء " [١] .

وأما ترجمته للقرآن الكريم فهي من أحسن وأجود ترجمات المستشرقين فكان يتحرى الدقة في الترجمة ، وجاء فيها بأسلوب أدبي واضح حيث استخدم الألفاظ الأدبية المتناسبة مع فصاحة القرآن الكريم ، كما التزم بترجمة كل كلمة من غير زيادة أو نقص فضلاً عن محاولة التشويه أو التجهم على جمال القرآن وأحكامه . وسبب إجادة هذه الترجمة يعود إلى معرفته باللغة العربية واعتقاده بأن القرآن تحفة أدبية في غاية البلاغة

[١] موسوعة المستشرقين ، ص ٦ .

والفصاحة ، وأن كل سورة مترابطة تدل على أنه وحي متوافق في أعلى درجات التوافق ، ومن ثم رأى أنه لا يمكن ترجمة القرآن إلى أي لغة مهما كانت بما فيه خصوصية فائقة من حيث البلاغة والموسيقى المثيرة للعواطف التي تمنع أن تعكس وتظهر في ترجمة كما تعكس في أصل لغته [١] . ومن هنا سمى ترجمته The Koran Interpreted أي " القرآن مفسّراً " ، وهذا يشير إلى أن ترجمته ليست حرفيةً بل تفسيريةً حيث لم يتقيد بحرفية الآيات ، ونحا منهجاً شاذاً حين قام بتجزئة سور القرآن إلى فقرات ، وترجمها كلها في مقطع بما تمثل الوحدة الموضوعية وتتابع المعنى حسب ظنه ، فلم يترجم الآيات على حدة بل ضم الآية بالآيات الأخرى التي تليها وجعلها فقرةً ثم ترجم هذه الفقرة في مقطع . وظنه أن الفقرة هي الوحدة الأصلية للوحي لا يصح على الإطلاق لأنه يؤدي إلى غموض فهم معنى آية ما على حدة . وعلى الرغم من جهد المترجم القيم في عمله فهي لم تخل من الأخطاء في بعض الأحيان كما لا تخلو ترجمة – ولو كانت لمسلم – من الأخطاء .

الأمثلة لبعض الأخطاء الفاحشة من ترجمات المستشرقين الإنجليزية :

لقد أتت أخطاء المستشرقين في ترجمة القرآن من نواحٍ مختلفة منها ما صدرت منهم الهفوات بسبب سوء فهمهم العبارة مثل ما وقع رادويل في ترجمة قوله تعالى : (أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ) [الكهف : ٢٦] Look thou and hearken unto Him alone [٢] يعني " انظر أنت واستمع " وهذا خطأ فاحش لأن الفعل هنا فعل تعجب ومعناه الصحيح : " لا أحد أبصر من الله ولا أسمع " يعني : "How best He sees it and how best He hears" .

ومنها ترجمة آربري لكلمة (أَحْلَام) في سورة يوسف إلى Nightmares أي كوابيس [٣] ، وهو غير صحيح ، فترجمة أحلام هو Dreams وليس Nightmare .

ومنها ترجمة سيل لقوله تعالى : (الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ) [البقرة : ٣] إلى "who believe in the mysteries of faith" [٤] أي " الذين يؤمنون

---

١ The Koran Interpreted, vol:١, p: ٢٤,٤٥

٢ The Koran Translated from the Arabic, p: ١٨٣

٣ The Koran Interpreted, vol:١, p: ٢٥٩

٤ The Koran translated, p: ٢

بأسرار العقيدة " ، وهي ترجمة خاطئة لأنها ليست معنى صحيحاً لـ " الغيب " ، ويبدو أنه حاول هنا إقحام مصطلح نصراني في الترجمة كما فعل ذلك في مواضع كثيرة .

ومنها ترجمة سيل لكلمة (الرَّحِيْمِ) كل ما وقعت من البسملة بقوله In the name of the Most Merciful God أي " باسم الله ذي الرحمة الواسعة/للغاية " وهو ترجمة خاطئة ، والترجمة الصحيحة هي " In the name of Allah, the Most/All-Merciful " كما فعلها آربري إلا أنه يستخدم كلمة God بدلاً من Allah وهو ليس بصحيح لأنها لا تعطي معنى كلمة الله بكل معنى الكلمة بل لم يوجد لها كلمة مرادفة في أي لغة أخرى .

ومنها ترجمة رادويل لقوله تعالى : (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ) [البقرة : ٣٤] فترجمه هكذا : "And when we said to they the angels, Bow down and worship Adam, then worshiped all save Eblis" [١] فترجم كلمة (اسجدوا) بـ " اعبدوا " وهو غير صحيح لأن السجدة قد تكون سجدة إكرام كما في هذه الآية ، فكانت سجود الملائكة تكرمةً لآدم وإظهاراً لفضيلته ، ولم تكن لعبادة آدم .

ومن مساوي المستشرقين في ترجمة القرآن التحريف فيها ، فجاءوا بترجمة لكلمات تغير المعنى كاملاً ولا عذر لهم في ذلك إلا أن يقال بأنهم تعمدوا الخطأ فيها بغية التحريف والتشويه للقرآن الكريم ، ومرد ذلك زعمهم أن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم كانت خاصة للعرب . من أمثلتها ترجمة سيل لعبارة : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ) [البقرة : ٢١] إلى "O men of Mecca" أي " يا أهل مكة " [٢] بدلاً من "O Mankind" .

ومنها ترجمة آربري للعبارة (النَّبِيّ الأُمِّيّ) [الأعراف : ١٥٧] إلى "the Prophet of the common folk" أي : " نبي الشعب العام " ، فترجم كلمة " الأمي " بـ commonfolk وخطأه ظاهر لأن معناها المعروف هو الذي لا يعرف القراءة ولا الكتابة . وترجمته لهذه العبارة خطأ من ناحية النحو أيضاً ؛ لأن العبارة مركب وصفي ، ولكنه جعلها مركباً

---

[١] The Koran Translated from the Arabic, p: ٣٤١

[٢] The Koran translated, p: ٣

إضافياً . ولعل سبب هذا الخطأ هو اعتقاده أن محمداً صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى العرب خاصةً فترجمها وفق اعتقاده .

ومن سلبيات ترجمات المستشرقين إفراطهم في إضافة كلمات في الترجمة ليست موجودةً في الأصل ، وذلك لجبر النقص إذا لم تتم لغة الهدف في الترجمة . وإن بان ضرورياً في بعض الأحيان إلا أنهم أفرطوا فيه وأضافوا ما لا حاجة له . وعلى سبيل المثال إضافة سيل كلمة " مصر " عند ترجمة قوله تعالى : (وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى) And the king of Egyptsaid, verily I saw inmy dream... [1] فأضاف هنا لفظة مصر و " في منامي " من غير مبرر فيبدو أنهما من النص الأصلي وليس كذلك ! وأكثر ذلك سيل في ترجمته مع أنه ذكر الحواشي فكان لها أن يبنيها في الحواشي وليس في أصل الترجمة .

ومن أمثلتها ما أضافه آربري في ترجمة قوله تعالى : (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ) [هود : ٢٥] فترجمه بقوله : " And We sent Noah to his people: 'I am for you a warner, and a bearer of good tidings' " [2] فأضاف في ترجمته ترجمة كلمة " بشير " وليست مذكورةً في الآية . وارتكب خطأً آخر في ترجمة هذه الآية حيث لم يترجم كلمة (مُبِينٌ) التي هي في أصل الآية .

وكذلك كثرت أخطاؤهم في ترجماتهم من الناحية المعجمية أيضاً مثل ما وقع سيل وآربري في ترجمة قوله تعالى : (اهْبِطُوا مِصْراً) [البقرة : ٦١] ، فترجمها آبري بـ : Get you down to Egypt [3] ، من حين ترجمها سيل بقوله : Get ye down into Egypt [4] ، ومعناهما : " انزلوا إلى مصر ؛ البلد المعروف " ، وهي ترجمة غير صحيحة ، لأن مصر معناها مدينة ، ومنطقة كبيرة ، وهذا المعنى هو المراد هنا ، فعلى هذا تكون الترجمة الصحيحة كالتالي : " Go down to any village/town " .

كما ارتكبوا أخطاءً نحويةً أيضاً مثل ترجمة جورج سيل لقوله

---

[1] نفس المصدر ، ص ١٧٤ .

[2] The Koran interpreted, vol: ١, p: ٢٤٢

[3] نفس المصدر ، ج ١ ، ص ٣٦ .

[4] The Koran Translated from the Arabic, p: ٨

تعالى : (وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ) [البقرة : ١٤٣] ، فترجمه بقوله : "Though this (change) seem a great matter, unless unto those whom God hath directed" [١] . يعني : " ولو كان هذا (التغيير) يبدو أثراً مهماً إلا على الذين هداهم الله " . فنراه هنا يترجم (إنْ) مخففة من الثقيلة بـ (لو) وهو غير صحيح . والترجمة الصحيحة هي : " it was burdensome indeed, but not on those whom Allah guided " .

ومنها ترجمة رادويل لقوله تعالى : (الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ) [الماعون : ٥] ، فجاءت ترجمته : "But in their prayer are careless" [٢] ، يعني : " الذين هم في صلاتهم ساهون " ، فأخطأ حيث ترجم حرف الجر (عن) بحرف الجر (في) ، والترجمة الصحيحة هي : " those who are neglectful/unmindful of their salah (prayer) " .

نستشف مما سبق أن ترجمات المستشرقين للقرآن الكريم ضئيلة في الغالب ، وذلك للأسباب منها :

الأول : اعتقادهم أن القرآن كلام محمد صلى الله عليه وسلم فليس له أي قدسية عندهم ، وأثر ذلك في ترجماتهم كما مر بنا .

الثاني : عدم تضلعهم من اللغة العربية ، بل جلهم كانوا على عدمٍ معرفتها بالكلية مع أن القرآن الكريم في قمة الفصاحة والبلاغة فضلاً عن كونه أعلى نموذج من النثر العربي الذي لا يمكن إتيان شيئ مثله ولو اجتمع عليه الجن والإنس كلهم . وجهلهم باللغة العربية قادهم إلى الجهل بالإسلام ، فمن لم يحسن لغة القرآن والحديث لا يمكن له فهم الإسلام الصحيح ، ولا يمكن له إدراك حقيقته وجوهرته ومن ثم التعبير عنه . وقد صرح بذلك العقاد بقوله : " ويندر أن تقرأ في كلام ناقد من الأجانب عن اللغة العربية شيئاً من مآخذ التناقض في الإسلام إلا بدا لك بعد قليل أنه مخطئ ، وأن مردَّ هذا الخطأ عنده إلى جهل الإسلام أو جهل اللغة العربية ، وبعضهم يجهلها وهو من المستشرقين ؛ لأنه يستظهر ألفاظها ولا يتذوقها ، ولا ينفذ إلى لبابها من وراء نصوص القواعد والتراكيب " [٣] .

---

١. The Koran Translated, p: ١٦.
٢. The Koran Translated from the Arabic, p: ٣١.
٣. حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ، ص ٢٠٠ .

من صور الالتفات في القرآن الكريم : دراسة بلاغية نحوية

(الحلقة الأولى)

الأستاذ أيمن ياسين العمر*

عالج البحث موضوع الالتفات في القرآن الكريم من زوايا متعددة ، فبدأ بتحديد مفهوم الالتفات من الناحية اللغوية والاصطلاحية ، ثم بيّن أهميته بوصفه أسلوباً بلاغياً فريداً يُسهم في تنويع الخطاب وإثراء المعنى . واستعرض البحث أبرز صور الالتفات المعروفة ، مثل الانتقال من المتكلم إلى المخاطب ، ومن الغائب إلى المتكلم ، ومن الغائب إلى المخاطب ، مع الوقوف على أمثلة قرآنية تمثل كل صورة . كما تطرّق البحث إلى أشكال أخرى دقيقة ، كتحول الضمائر وتغيّر الزمن ، لما تحمله من دلالات بلاغية دقيقة .

كما تضمّن البحث تحليلاً لعدد من الآيات الكريمة التي ورد فيها الالتفات ، مبيّناً دوره في التأثير النفسي والتعبيري داخل السياق القرآني . واستعرض كذلك مواقف المفسرين والبلاغيين من هذه الظاهرة ، كاشفاً عن الفروق الدقيقة بين التفسير النحوي والتفسير البلاغي لها . وقد انتهى البحث إلى أن الالتفات يشكل أحد مظاهر الإعجاز البياني في القرآن الكريم ، لما يضيفه من عمق وجمال في التعبير ، ويؤدي إلى شد انتباه المتلقي وتنويع الأسلوب دون الإخلال بالسياق .

الكلمات المفتاحية : البلاغة ، الالتفات ، القرآن الكريم ، السياق ، الإعجاز البياني .

(١) المقدمة :

إنّ الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده ، الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويدفع عنّا نقمه ويكافئ مزيده ، يا ربِّ لك الحمد ملء السماوات وملء الأرض وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيئ بعد ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد .

* جامعة الزيتونة الدولية – كلية الدراسات العليا ، aymanalmr٠٥٤@gmail.com

فإنّ القرآن الكريم نصٌّ اختصه الله تعالى بالفصاحة والبلاغة والبيان والإعجاز ، فكان وما زال محطّ أنظار أهل العلم ، الذين دَهِشوا وانبهروا بإعجازه وبلاغته ودقّة ألفاظه ومعانيه ، وهذه من الأسباب التي جعلته مصدراً لكثير من الدراسات اللغوية والبلاغية والأدبية وغيرها ، إذ راح أصحابها يخوضون في بحره وينقبون لاكتشاف أسراره التي تعدُّ دراً وكنوزاً ، ومهما توصل طالب العلم إلى عطايا القرآن الكريم لا يمكن له ولا لآخر أن يحيط علماً بكلام الله تعالى ووجوه إعجازه ، لأن علمه لا ينفد

قال تعالى : (قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَاداً لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَداً) [الكهف : ١٠٩] ، وقال تعالى : (وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) [لقمان : ٢٧] .

ونحن – طلابَ العلم – مجالاً للبحث اللغوي أصح وأدق وأبلغ وأفصح من كتاب الله تعالى ، ومن الأساليب البلاغية في القرآن الكريم أسلوب الالتفات في الخطاب ، وهو أسلوب فني يخرج الخطاب من الرتابة المملة إلى التنويع ، ليثير ذهن القارئ أو السامع لتتبع الخطاب والتركيز فيه ، إذ يكون كاللوحة الملونة كلما بدا لون شد المتلقي إليه واستجلب تركيزه ، وقد جاء اختياري لموضوع الالتفات في القرآن الكريم وأسراره البلاغية لأسباب عدة سأبينها ، وأسأل الله التوفيق والسداد .

(٢) أهداف البحث :

أ . الكشف عن غنى القرآن الكريم بأسلوب الالتفات .

ب . دراسة أمثلة من تنوع صور الالتفات في القرآن الكريم .

ج . الاستدلال على فوائد تنوع الأساليب البلاغية في الالتفات ودلالاتها .

(٣) أهمية البحث :

أ . الرغبة الشخصية في إثراء معرفي في هذا المجال .

ب . غنى القرآن الكريم بالأساليب البلاغية وخصوصاً الالتفات يدفع إلى إمعان النظر فيه واستكشاف أبعاده التأثيرية .

ج . إبراز بعض الأسرار البلاغية في الالتفات في القرآن الكريم .

د . القرآن الكريم غني جداً بأسلوب الالتفات .

هـ . تنوع صور الالتفات في القرآن الكريم .
و . تنوع الأساليب البلاغية في الالتفات .

(٤) منهجية البحث :

اعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي ، إذ إنه يبدأ بوصف ظاهرة الالتفات كما وردت في النصوص القرآنية ، ثم تحليلها من الجانبين اللغوي والبلاغي ، مع الاستعانة بأقوال المفسرين والبلاغيين للكشف عن الأثر الدلالي لهذه الظاهرة في السياق القرآني .

(٥) إشكالية البحث :

يحاول البحث الإجابة عن الأسئلة الآتية :

أ . ما مفهوم الالتفات في اللغة والاصطلاح ؟

ب . ما أبرز أنواع الالتفات في القرآن الكريم ؟

ج . ما الدوافع البلاغية والنحوية لاستخدام الالتفات في القرآن ؟

د . ما أثر الالتفات في توجيه المعنى وتنوع الأسلوب القرآني ؟

هـ . كيف تناول المفسرون والبلاغيون ظاهرة الالتفات في تفسيرهم للآيات ؟

و . هل هناك ارتباط بين نوع الالتفات وسياق الخطاب (تهديد ، ترغيب ، تعظيم . . .) ؟

ز . ما النماذج القرآنية التي تمثل صور الالتفات ، وما دلالتها البلاغية ؟

(٦) الدراسة :

الالتفات لغةً واصطلاحاً :

الالتفات من الفعل " لفت " وهو بمعنى اللي وصرف الشيئ عن جهته ، يقول صاحب لسان العرب : لفت وجهه عن القوم : صرفه وتلفت إلى الشيئ والتفت إليه ، واللفت : لي الشيئ عن جهته [١] .

وقد ذكر الخليل في معجمه " العين " أن " لَفْت اللفت : ليُّ الشيئ عن وجهته ، كما تقبض على عنق إنسان فتلفته . واللفت والفتل واحدٌ ولفتُّ فلاناً عن رأيه أي صرفته عنه ومنه الالتفات ، ويقال : لفت فلان مع فلان .

وجاء في الذّكر الحكيم : (وَلا يَلتَفِت مِنكُم أَحَدٌ إلاّ امرَأَتُك) [هود :٨١] .

[١] لسان العرب ابن منظور الأنصاري ٧١١هـ .

أُمروا بترك الالتفات بوجوههم لئلا يروا عظيم ما تزل بالكافرين من العذاب .

وجاء كذلك في قوله تعالى : (أَجِئتَنَا لِتَلفِتَنَا عَمَّا وَجَدنَا عَليه آبَاءنَا) [يونس : ٧٨] .

أي : لتصرفنا عما وجدنا عليه آباءنا من المعتقدات والأفعال .

وجاء في الحديث النبوي لفظ الالتفات بمعنى اللّي والصرف ، صرف الوجه يمنةً ويسرةً في الصلاة إلى جهةٍ خارجها ، فعن عائشة رضي الله عنها – قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الالتفات في الصلاة ، فقال : هو اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد .

ومما سبق نرى أنَّ الالتفات بألفاظه وتراكيبه في سياقاته المختلفة يدلُّ على معنى الصرف واللّي عن الجهة المستقيمة .

الالتفات اصطلاحاً :

إنّ الالتفات نوعٌ من أنواع البلاغة العربية ، وقد عدّه البلاغيون من محاسن اللفظ وبراعة الأسلوب ، وقد عرّفه جمهور البلاغيين : " هو التعبير عن معنى بطريقٍ من الثلاثة بعد التعبير عنه بآخر منها " [١] .

وقد عرّفه الزّركشي : " هو نقلٌ الكلام من أسلوب إلى أسلوبٍ آخر تطريةً واستدراراً للسامع ، وتحديداً للنشاط ، وصيانة الخاطرة من الملل والضجر بدوام الأسلوب الواحد كما قيل : لا يصلحُ النفسَ إن كانت مصرفةً إلاّ التنقل من حالٍ إلى حالٍ " [٢] .

وقد روى الزركشي عن حازم في تعليقه على الالتفات : " قال حازم في منهاج البلغاء : وهم يسأمون الاستمرار على ضمير متكلمٍ أو ضمير مخاطب ، فينتقلون من الخطاب إلى الغيبة ، وكذلك أيضاً يتلاعب المتكلم بضميره فتارة يجعله تاءً على جهة الإخبار عن نفسه ، وتارةً يجعله كافاً فيجعل نفسه مخاطباً ، وتارةً يجعله هاءً فيقيم نفسه مقام الغائب ، فلذلك كان الكلام المتوالي فيه ضمير المتكلم والمخاطب لا يستطاب ،

---

[١] الخطيب القزويني ، التلخيص في علوم البلاغة ، ص ٢٦ .

[٢] الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، تحقيق محمد أبو الفضل ، ط ١ ، بيروت ١٩٩٧م .

وإنّما يحسن الالتفات أي الانتقال من بعضها إلى بعض ، وهو نقل معنوي لا لفظي ، وشرطه أن يكون الضمير المتنقل إليه عائداً في نفس الأمر إلى الملتفت عنه " [1] .

نحو : " أكرمْ زيداً وأحسن إليه ،فضمير الخطاب أنت المستتر غير الضمير في إليه ، واعلم أنّ التكلم والخطاب والغيبة مقامات ، والمشهور أنّ الالتفات هو الانتقال من أحدها إلى الآخر بعد التعبير بالأول " [2] .

ومن تعاريف الالتفات عند العلماء : " أن يكون الشاعر في كلام فيعدل عنه إلى غيره ، قبل أن يتم الأول ثم يعود إليه فيتمه ، فيكون فيما عدل إليه مبالغاً في الأول وزيادة في حسنه " [3] .

إذاً : " الالتفات في التعريف الاصطلاحي : هو التحول في التعبير الكلامي من اتجاه إلى آخر ، والمقصود : نقل الكلام من أسلوب إلى آخر ، من التكلم إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة إلى غير ذلك ، وإن التعريف الاصطلاحي والتعريف اللغوي للالتفات يؤديان المعنى ذاته ، أي : التحوّل والانصراف ومن تعاريف الالتفات ، ما ذكره السيوطي في كتابه الإتقان في علوم القرآن : هو نقل الكلام من أسلوب إلى آخر أعني من التكلم إلى الخطاب إلى الغيبة بعد التعبير عن الأول ، وهذا هو المشهور " [4] .

أقسام الالتفات وأهدافه :

ينقسم الالتفات إلى أقسام ، وهي :

الأول : الالتفات من ضمير الخطاب إلى ضمير الغيبة ، والشاهد في قوله تعالى : (ٱلْحَمْدُ للَّه رَبِّ ٱلْعَالَمينَ . ٱلرَّحْمـٰنِ ٱلرَّحيمِ . مَـٰلِكِ يَوْمِ ٱلـدِّينِ . إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعينُ) [الفاتحة : ٢ – ٥] .

فالكلام جارٍ على أسلوب الغائب ، في قوله : الحمد لله ربِّ العالمين ، على اعتبار كلمة (ربُّ) بالرفع في إحدى القراءات الشّاذة ، وذلك على تقدير : الحمد لله هو ربُّ العالمين ، حين تكون (ربُّ) خبر

---

[1] الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج ٣ ، ص ٣١٤ .
[2] الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ، ج ٣ ، ص ٣١٤ .
[3] خليفات ،ص ٤ .
[4] الإتقان في علوم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، ١٩٧٤م ، ج ٣ ، ص ٢٨٩ .

لمبتدأ محذوف تقديره هو [1] .

ثم انتقل إلى أسلوب الخطاب في قوله : (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) [الفاتحة : ٥] .

الثاني : الالتفات من التكلم إلى الخطاب ، والشاهد قوله تعالى : (وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) [يس : ٢٢] .

ففي الآية انتقال من التكلم في قوله : (وَمَا لِيَ لاَ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى) إلى الخطاب في قوله : (وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) .

علماً أن مقتضى الحال : وإليه أرجع .

الثالث : الالتفات من الخطاب إلى التكلم ، والشاهد قوله تعالى : (وَٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ) [هود : ٩٠] .

الرابع : الالتفات من الغيبة إلى التكلم ، ومنه قوله تعالى : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ) [فاطر : ٢٧] .

موطن الشاهد : أنزل وأخرجنا ، فقد عدل عن الغيبة في الفعل أنزل إلى التكلّم في الفعل أخرجنا ، علماً أنّ المنزل والمخرج هو الله .

الخامس : الالتفات من التكلم إلى الغيبة ، ومنه قوله تعالى : (فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ . أَمْراً مِّنْ عِنْدِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ . رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ) [الدخان : ٤ – ٦] .

موطن الشاهد : في قوله : (أَمْراً مِّنْ عِنْدِنَآ) في أسلوب المتكلّم ثم عدل عن التكلم إلى الغيبة في قوله : (إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ) .

(أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفاً أَلْوَانُهَا وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ) [فاطر : ٢٧] .

موطن الشاهد : أنزل وأخرجنا ، فقد عدل عن الغيبة في الفعل أنزل إلى التكلّم في الفعل أخرجنا ، علماً أنّ المنزل والمخرج هو الله .

الالتفات وأسراره البلاغية :

أدرك علماء البلاغة أن الالتفات يُعدّ من أبرز فنون البلاغة وأعمقها أثراً ، لما ينطوي عليه من أسرار عظيمة ودلالات خفية . وقد ذهب

[1] القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، ص .

بعض البلاغيين إلى أنه خلاصة علم البيان ، لما فيه من تنويع في الأسلوب وتلوين في الخطاب يُثري المعنى ويثير الانتباه .

ويُعد هذا الفن من الأساليب البلاغية الدقيقة التي تتعدد فيها الآراء ، وتتنوع أنواعه وفوائده بحسب المقام والسياق . ولهذا قال الزمخشري : " تختص مواقعه بفوائد " ، مشيراً إلى أن الالتفات لا يُستخدم عبثاً ، بل يُؤتى به لتحقيق غايات بلاغية محددة .

وكلما تعمق الباحث في دراسة الالتفات ، انفتحت أمامه آفاق متعددة من الدلالات الفنية والأسلوبية .

ورغم تباين الآراء حول أنواعه وحدوده ، فإنها تتفق على أن " الالتفات فنٌّ قائم بذاته ، لا يُحدّ بحدّ ولا تُقيده قاعدة " ، وإنما يحكمه الذوق البلاغي والسياق النصي .

وقد ذكر القرطاجيُّ عن سرِّ بلاغة الالتفات : " وهم – العرب – يسأمون الاستمرار على ضمير متكلم أو ضمير مخاطب فينتقلون من الخطاب إلى الغيبة ، وكذلك يتلاعب المتكلم بضميره ، فتارةً يجعله ياءً على جهة الإخبار عن نفسه وتارةً يجعله هاءً فيقيم نفسه مقام الغائب وتارةً يجعله كافاً أو تاءً فجعل نفسه مخاطباً ، ولذلك كان الكلام المتوالي فيه ضمير متكلم أو مخاطب لا يستطاب ، وإنّما يحسن الانتقال من بعضها إلى بعض " [1] .

وإنّ سرَّ بلاغة الالتفات يكمن في مبالغته وشد الانتباه لدى السامع وتشويقه إلى الموضوع مدار الحديث .

وذكر السكاكي هذا المعنى نفسه في كتابه مفتاح العلوم ، فنقول في سرِّ بلاغة الالتفات : " واعلم أنّ هذا النوع : أعني نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة لا يختص المسند إليه ولا هذا القدر بل الحكاية والخطاب والغيبة معاً ، وينقل كل واحد منها إلى الآخر ويسمى هذا النقل التفاتاً عند علماء المعاني ، والعرب يستكثرون منه ويرون الكلام إذا نقل من أسلوبٍ إلى أسلوب أدْخَلُ في القبول عند السامع وأحْسَنُ تطريةً لنشاطهِ وأملأُ باستدرار إصغائه " [2] .

(للبحث صلة)

---

[1] منهاج البلغاء وسراج الأدباء ، ص ٣٤٨ .

[2] مفتاح العلوم للسكاكي ، ص ٩٥ .

مساهمة الشيخ محمد حنيف الندوي في العلوم الإسلامية

(الحلقة الأولى)

الدكتور سيار أحمد نجار*

المقدمة :

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي ، تأسست العديد من المؤسسات التعليمية لتثقيف المسلمين في الهند وجعلهم على قدم المساواة مع مواطنيهم الهندوس في جميع المجالات . وفي هذا الصدد ، كانت مؤسسة ندوة العلماء من المؤسسات التعليمية الرئيسية . وكانت اثنتان من سابقاتها : مدرسة عليكره ودارالعلوم ديوبند ، متناقضتين مع بعضهما البعض . أكدت عليكره على التعليم الغربي الحديث المثمر للمسلمين في الهند بينما ابتكرت ديوبند من ناحية أخرى لجعل المسلمين أمة متقدمة من خلال تعزيز روحهم الدينية ومعرفتهم بالدين . وفي ظل هذه الظروف كانت هناك حاجة ماسة إلى مؤسسة قادرة على تقديم النوعين من التعليم في نفس الوقت . ولهذا الغرض أسس مولوي عبد الغفار ، الذي كان نائباً لمحاسب الحكومة البريطانية في الهند ، مؤسسة " ندوة العلماء " في لكناؤ .

محمد حنيف الندوي (١٠ يونيو ١٩٠٨م – ١٢ يوليو ١٩٨٧م) كان مفكراً إسلامياً وعالماً في اللاهوت ، ومفسراً للقرآن الكريم من باكستان

وُلِد الشيخ محمد حنيف الندوي في العاشر من يونيو عام ١٩٠٨م في جوجرانوالا ، الهند البريطانية (باكستان الآن) . وعندما أكمل تعليمه الابتدائي في مسقط رأسه ، أرسله والده تحت إرشاد الشيخ إسماعيل السلفي ، حتى يتمكن من تلقي تعليم اللغة والأدب منه . رأى السلفي التعطش الحقيقي للمعرفة في تلميذه وأرسله إلى ندوة العلماء في لكناؤ عام ١٩٢٥م . وهناك أكمل الندوي دراسته للقرآن والتفسير والحديث والفقه والمنطق وما إلى ذلك على يد أفضل علماء ذلك الوقت . بلغت مهارته في اللغة العربية حداً جعله يلقي محاضرة باللغة العربية لمدة نصف ساعة حول موضوع تأثير القرآن على الأدب العربي في اجتماع عقد في كانبور بحضور

* البريد الإلكتروني : sayarnajar٠٠٠@gmail.com

علماء مثل حكيم أجمل خان والسيد سليمان الندوي . وفي السنة الرابعة والعشرين ، بدأ في كتابة تفسير للقرآن الكريم بعنوان سراج البيان .

الكلمات الرئيسية : محمد حنيف ، تفسير سراج البيان ، مسلمانوں کی عقائد وأفكار ، مطالعه قرآن ، لسان القرآن .

حياة الشيخ محمد حنيف الندوي :

وُلِد الشيخ محمد حنيف الندوي في العاشر من يونيو عام ١٩٠٨م في جوجرانوالا في البنجاب ، وأكمل تعليمه المبكر هناك . كان اسم والده نور الدين الذي لم يكن متعلماً جداً ، لكنه كان شيخاً تقياً ورعاً للغاية . وعندما فتح ولد عينيه على الوعي ، أدخله والده في المدرسة الحكومية ، حيث درس حتى أربع سنوات ، بالإضافة إلى ذلك تعلم القرآن الكريم أيضاً [١] .

كان نور الدين والد الشاب محمد حنيف يرغب في تعليم ابنه دينياً ، فتم ضمه إلى دائرة تعليم الشيخ محمد إسماعيل . كان طالباً ذكياً وموهوباً للغاية ، يدرس بجد واجتهاد ، لذلك كان الشيخ محمد إسماعيل سعيداً به أيضاً وأولاه اهتماماً خاصاً . وكانت النتيجة أنه في عام ١٩٢٥م ، عندما كان عمره سبعة عشر أو ثمانية عشر عاماً فقط ، انتهى من اكتساب العلوم الشعبية . كان أول طالب في جوجرانوالا ، درس العلوم على يد الشيخ محمد إسماعيل صاحب ، وكان فخوراً بتلامذته . لقد علم تلميذه الجدير بأفضل طريقة ممكنة . لم يجد فيما بعد مثل هذا الطالب الذكي [٢] .

وبعد التخرج ، نصح الشيخ إسماعيل الطالب الموهوب بالذهاب إلى لكناؤ ومواصلة الدراسات العليا في دار العلوم ندوة العلماء وكتب خطاب توصية إلى العلامة الراحل السيد سليمان الندوي لقبوله . وصل الشيخ حنيف إلى لكناؤ في نهاية عام ١٩٢٥م والتحق بدار العلوم ندوة العلماء . في ذلك الوقت ، كانت ندوة العلماء تتمتع بمكانة مركز المعرفة ومركز العلماء في شبه القارة، وبعد ذلك ، كان الخريجون يُنظر إليهم باحترام في كل دائرة . وكانت الأسماء البارزة للمعلمين في ذلك الوقت هي الشيخ عبد الرحمن النجرامي ، ومولانا حيدر حسن المحدث التونكي ، وشمس العلماء الشيخ حفيظ الله .

---

[١] بهتي ، محمد إسحاق : أرمغان حنيف ، اداره ثقافت اسلامية ، كلب رود لاهور ، ص ٩٠ .

[٢] المرجع السابق ، ص ٩٠ – ٩١ .

أقام الشيخ حنيف في دار العلوم ندوة العلماء حوالي خمس سنوات ، وفي السنوات الثلاث الأولى أكمل الكتب المدرسية هناك ، وفي السنتين الأخيرتين تخصص في تفسير القرآن الكريم [١] .

أكمل الندوي دراسته للقرآن والتفسير والحديث والفقه والمنطق وغيرها في ندوة العلماء . ووصلت براعته في اللغة العربية إلى حد أنه ألقى خطاباً باللغة العربية لمدة نصف ساعة حول موضوع تأثير القرآن على الأدب العربي في اجتماع عقد في كانبور بحضور علماء مثل الطبيب أجمل خان والسيد سليمان الندوي . وفي السنة الرابعة والعشرين ، بدأ في كتابة تفسير للقرآن بعنوان سراج البيان [٢] .

وبعد تخرجه من الندوة ، بقي لفترة في دار المصنّفين (أعظم جره) . وكان قصده القيام بأعمال التأليف والتجميع هناك . ولكن العلامة السيد سليمان الندوي قال : إن علماء الندوة وطلابها متأخرون في مجال الخطابة ، على الرغم من أن هذه مهمة أساسية ومهمة للغاية . لديك ذوق جيد في الخطابة . يجب أن تتولى هذا المجال . لذلك عاد الشيخ إلى وطنه جوجرانوالا في بداية عام ١٩٣٠م . وكانت بيئة دار المصنّفين جذابة للغاية للشيخ ، وتأثر كثيراً بالعلماء هناك وممارساتهم [٣] .

أتقن الشيخ الندوي اللغة الإنجليزية بجهوده الشخصية ، وتعرف على الفلسفة الغربية الحديثة . ثم التحق بمعهد الثقافة الإسلامية عام ١٩٥١م ، وكان مدير المعهد آنذاك الفيلسوف خليفة عبد الحكيم . وبصحبته ، شحذ الشيخ الندوي مهاراته الفلسفية ، وظل مرتبطاً بالمؤسسة مدى الحياة . وكتب العديد من الكتب القيمة في القرآن والحديث والفلسفة الإسلامية . كما ظل عضواً في مجلس الفكر الإسلامي في باكستان [٤] .

---

[١] المرجع السابق ، ص ٩١ – ٩٢ .

[٢] https://en.wikipedia.org/w/index.php?title=Muhammad_Hanif_Nadvi&oldid=١٢٢١٩٦٤٤٨٥

[٣] بهتي ، محمد إسحاق : أرمغان حنيف ، ص ٩٤ – ٩٥ .

[٤] https://en.wikipedia.org/w/index.php?title=Muhammad_Hanif_Nadvi&oldid=١٢٢١٩٦٤٤٨٥

عندما انضم الشيخ الندوي إلى السياسة كانت فترةً مضطربةً من السياسة في الهند ، لمعارضة الحكم البريطاني ومن أجل استقلال البلاد كانت هناك حركات مختلفة مستمرة في البلاد . من بين المناطق والمدن في البنجاب حيث كان الناس أكثر نشاطاً في هذه الحركات ، جوجرانوالا جديرة بالملاحظة بشكل خاص . كان حزب سياسي للشباب " نجوان بهارت سابها " قوياً جداً هناك ، انضم إليه الشيخ محمد حنيف الندوي وبدأ في إلقاء الخطب ضد الحكومة البريطانية . نتيجة لذلك ، تم القبض عليه . وتمت محاكمة قضية في محكمة جوجرانوالا وحُكم عليه بالسجن لمدة ستة أشهر . أرسل إلى " سجن كاسور " بعد الإدانة . كما تم القبض على الشيخ محمد شيراج ، العالم الشهير لديوبند في جوجرانوالا ، لنفس الجريمة وفي نفس الفترة . حُكم عليه بالسجن تسعة أشهر ، وكان أيضاً في " سجن كاسور " . كلاهما أكملا فترة سجنهما في نفس السجن [1] .

توفي الشيخ حنيف الندوي في ١٥ ذي القعدة ١٤٠٧هـ (١٢ يوليو ١٩٨٧م) يوم الأحد الساعة ٩:٤٠ مساءً ، وأقيمت جنازته في اليوم التالي الساعة ١١:٠٠ صباحاً ، ودُفن في مقبرة كليفتون كولوني (وحدت رود) . وقد أمّ الشيخ فضل الرحمن خطيب مسجد مبارك صلاة الجنازة [2] .

مساهمة الشيخ الندوي في العلوم الإسلامية :

لقد ألفت كتب لا حصر لها عن القرآن الكريم ، ولكن ما زال هناك الكثير مما يجب أن يقال . وقد كتب الشيخ محمد حنيف الندوي الكثير عن القرآن وعلومه في كتبه المتنوعة . وفي هذا الموضوع ، له كتابان منتظمان هما " لسان القرآن " و " مطالعه قرآن " . وقد أولى الشيخ في " مطالعه قرآن " أهمية خاصة لموضوعات ومشكلات " البرهان للزركشي " و " الإتقان للسيوطي " ، وكان أسلوبه علمياً وبحثياً . وقد ألقى الضوء على الأبعاد الروحية لبعض تفسيرات القرآن الكريم ، وهذا إضافة قيمة إلى الكتب التي ألفت في مجال فهم القرآن الكريم . وقد أشار الشيخ محمد حنيف الندوي إلى عظمة القرآن الكريم في كثير من المواضع ، كما كشف عن المواقف السلبية لبعض المستشرقين ، كما قدم إجابة منطقية ومعقولة على اعتراضاتهم . ولم يقتصر الأمر على هذا ، بل أخذ المنظور الفكري والثقافي

[1] بهتي ، محمد إسحاق : أرمغان حنيف ، ص ٩٥ – ٩٦ .
[2] المرجع السابق ، ص ٣٥٨ .

والاجتماعي المعاصر في الاعتبار أثناء هذه الدراسة . وقد كتب الشيخ مذكرة مفصلة عن نزول القرآن الكريم في بداية كتابه " مطالعه قرآن " [1] .

تفسير سراج البيان : وقد نقل الأستاذ محمد إسحاق بهتي في كتابه " أرمغان حنيف " عن الشيخ قوله عن هذا التفسير : إن المرحوم الشيخ محمد أشرف (بائع الكتب) كان قد خطط لكتابة تفسير ، فبدأ الشيخ في كتابة التفسير بناءً على طلبه ، وتم الانتهاء من الأجزاء الخمسة عشر الأولى في فترة سنة ونصف [2] . يعتقد الشيخ أن التفسير طبع خمس أو ست طبعات في سنة ١٩٣٣م أو ١٩٣٤م ، وفي نفس الطبعات كانت ملاحظات الشيخ على الهامش ، ثم طبع بالأسلوب التفسيري وكان مجموع صفحاته ١١٦٠٠ صفحة، والمجلد الواحد يتكون من ستة أجزاء ، إذن هناك خمسة مجلدات وأرقام الصفحات متتالية ، وبعد المجلد الأول لا يوجد مجلد يحمل عنواناً في البداية ، وقد صدرت عدة طبعات . يقول بهاتي : إنني رأيت طبعة أبريل ١٩٦٦م عند مالك عبد الرؤوف ، التي حررها منشي سيد أحمد خوشنافيس في لاهور ، وكانت في حالة جيدة ونظيفة – كل صفحة مقسمة إلى قسمين – يحتوي الجزء العلوي على نص مكتوب وترجمة وجهاً لوجه .

وفيما يتعلق بهذه التفاسير ، فإن مجموعات التفسير والحديث التي استعان بها الشيخ الندوي هي : تفسير خازن ، روح المعاني ، كبير الرازي ، ابن جرير ، در منثور ، ابن كثير ، مدارك ، مسند حاكم ، أسباب النزول سيوطي ، حقاني ، خلاصة التفسير ، موضح القرآن ، الحسيني وبيان القرآن والعديد من كتب الحديث ومنها صحيح الستّة [3] .

ومن السمات البارزة في التفسير كله ما يلي :

- تم ترتيب الموضوعات الرئيسية لكل صفحة بطريقة تجعل الموضوع الرئيسي للآية المعنية محدداً بوضوح .
- والأسلوب بحثي إلى حد كبير ، وهذا واضح لمن يعرف أسلوب الشيخ في الكتابة ، وأن الأمر الضعيف السخيف بعيد عنه .

---

[1] سعيد ، سعادت : مولانا حنيف ندوی ایک تعارفی مطالعہ ،ادارہ ثقافت اسلامیہ ،۲.کلب روڈ لاہور ، ص ٣٠ – ٣١ .

[2] بهتي ، محمد إسحاق: أرمغان حنيف ، ص ٦١ .

[3] المرجع السابق ، ص ٦٣ .

- لقد تم أخذ المساعدة من العلوم المعاصرة في أماكن عديدة ويمكن لكل قارئ أن يشعر بذلك .
- لقد استوعب الشيخ تعاليم تفسير التصوف والكلام جيداً ، والسبب في ذلك واضح ، أنه بدون دقة التصوف وأسراره تصبح القيود الفقهية عبئاً ، كما أن التصوف بدون فقه وتفسير يصبح إلحاداً ، كذلك فإن التصوف والواجبات والحقوق هي روح الإسلام .
- ستجد في تفسير الشيخ هذا ذكراً لنقاط وألفاظ أدبية ولغوية ، وحل المعاجم جزء ثابت منه ، وكأنه دليل على إعجاز القرآن . ومن منا لا يعلم أن العرب كانوا يسمون بقية العالم " عجميين " من حيث اللغة والتعبير . وحيث أطلق القرآن سهماً على عقائدهم الباطلة ، وممارساتهم الفاسدة ، وأخلاقهم الفاسدة ، وأربك الناس المحيطين بهوة الضلال ، وأخرجهم من هذه البيئة ، فهناك النموذج الذي أسسه من حيث اللغة والأدب . ويمكن الاستدلال على ذلك من تقاليد التفسير التي تفيد أن كفار قريش كانوا يستمعون سراً إلى كلام الله بلغة محمد (صلى الله عليه وسلم) المباركة في ظلمة الليل ، فينطفئون على ألسنتهم " ما هذا كلام البشر " . ويصرح الشيخ بأن " من قرأه شعر بأن القرآن هو أفضل إضافة إلى عالم الأدب " [1] .

مطالعه قرآن : لقد كانت لدى الشيخ محمد حنيف الندوي رغبة قوية في جعل القرآن والحديث موضوعاً للبحث ، والسبب الرئيسي في ذلك هو ارتباطه الروحي والعاطفي بهذا الموضوع المقدس والمهم ، وفي عام ١٩٣٣م بدأ حياته الأدبية بهذا فكتب تفسيراً للقرآن الكريم في خمسة مجلدات تحت اسم " سراج البيان " ، وقد طبع من خمس عشرة إلى ست عشرة مرة . وبعد ذلك في آخر مراحل حياته أراد أن يؤدي نفس الخدمة ، فبدأها بـ " مطالعه قرآن " ، وأبدى آراءه العلمية في كل المناقشات والقضايا المتعلقة بالقرآن الكريم ، والتي تساعد على فهم القرآن الكريم . ولقد أعطى الشيخ في كتابه " مطالعه قرآن " بأسلوبه الفريد الحكيم جواباً شافياً على الاعتراضات التي أثارها المستشرقون في بعض مواضيع القرآن الكريم والتي قد تثير الشكوك والريب في قلوب وعقول الناس . وقد تمت مناقشة بعض المواضيع التالية في " مطالعه قرآن " :

[1] المرجع السابق ، ص ٦٥ – ٦٦ .

١. مفهوم القرآن والوحي والتنزيل .
٢. القرآن الكريم والكتب السابقة .
٣. أسفار خمسة .
٤. العهد الجديد وأناجيل الأربعة .
٥. القرآن الكريم وأسماؤه وصفاته .
٦. أنواع وترتيب السور القرآنية .
٧. التوزيع الزماني والمكاني للسور القرآنية .
٨. ثلاث مراحل لجمع القرآن وكتابته .
٩. الخصائص اللغوية للقرآن الكريم .
١٠. إعجاز القرآن وحقيقتها .
١١. مشكلات القرآن .

وقد كتب القاضي الراحل ايس . اي . رحمان مقدمةً لكتاب " مطالعه قرآن " . ويحتوي هذا الكتاب على ٣١٠ صفحات . وقد نُشر لأول مرة في عام ١٩٧٨م [١] .

لسان القرآن – المجلد الأول : إن تدبر القرآن الكريم وموضوعاته ومحتوياته ودلالاته المتعلقة به هو موضوع شائع ومفضل لمولانا محمد حنيف الندوي . وفي عام ١٩٧٨م كتب " مطالعه قرآن " ، ثم أتبعها " مطالعه الحديث " في عام ١٩٧٩م ، ثم جعل من معجم تفسير القرآن الكريم محوراً لأبحاثه وتفرغ له ، فبدأ هذا العمل العظيم في أواخر عام ١٩٧٩م ، وأتم مجلداً واحداً منه في أواخر عام ١٩٨٢م ، وأطلق عليه اسم " لسان القرآن " ، وقد بدأ هذا المجلد بحرف الألف " أب " وانتهى بحرف الجيم (ج ي د) " جِيْد " .

هذا هو التفسير الشامل والمعجم التوضيحي للقرآن الكريم ، وقد شرح فيه الشيخ الندوي ألفاظ القرآن الكريم ومطالبه ومعانيه بأسلوب جيد جداً . وهذا هو جهده ثمين في تفسير القرآن الكريم . وقد تم في هذا دراسة كل هذه الأشكال في ضوء القرآن والحديث والمصطلحات العربية والعلوم والحركات القديمة والحديثة ، والتي ترتبط بطريقة ما بعلم الاجتماع أو التاريخ أو الفلسفة أو العلم . ونظراً لوفرة المعلومات ، ينبغي اعتبار " لسان القرآن " كنزاً من كنوز تعاليم ومعارف القرآن . كلام الشيخ حلو ومؤثر لدرجة أن قراءته تملأ العقل بآيات القرآن وتتطبع

[١] بهتي ، محمد إسحاق : أرمغان حنيف ، ص ٣٠ – ٣٢ .

الصورة الجميلة لعظمة القرآن في القلب والروح .

يحتوي المجلد الأول من كتاب " لسان القرآن " على مقدمة في ٣٣ صفحة ، وفيها يتم فهم وبيان مبادئ القرآن ومتطلباته ، ويقع الكتاب في ٤٠٠ صفحة ، وقد صدر لأول مرة سنة ١٩٨٣م [١] .

لسان القرآن – المجلد الثاني : الجزء الثاني من لسان القرآن يبدأ بالحرف " ح " (ح ب ب) " الحب " وينتهي بالحرف " د " (د ي ن) " الدين " . آخر صفحة في الجزء الأول تحمل الرقم ٤٠٠ . يبدأ الجزء الثاني من الصفحة ٤٠١ بالتسلسل ، وينتهي عند الصفحة ٤٩٣ . وبالتالي ، فإن الجزء الثاني يتكون من مجموع ٣٩٣ صفحة . وقد تم نشر الجزء الثاني من لسان القرآن في عام ١٩٨٥م .

يبدأ المجلد الثالث بحرف " ذ " . كان الشيخ يعمل على هذا العمل بسرعة واجتهاد حتى مرض . بلغت المخطوطة نحو مائة صفة . بعد ذلك ، مرض الشيخ وتوفي معه [٢] ، وتوقف العمل عند هذا الحد .

مطالعه حديث : لقد سعى المستشرقون لبعض الوقت إلى صياغة هذه الافتراءات حول الحديث والسنة في قالب " علمي وبحثي " ، بحيث بدا أن عمليةٍ جمعها وتصحيحها لم تتم إلا لعوامل تاريخية . وقد تأثر بعض أفرادنا أيضاً بهذا الفكر ، وحاولوا نشر هذا المنهج الفكري للمستشرقين والترويج له . وقد ردّ الشيخ محمد حنيف الندوي على هذا الأمر بشكل إيجابي في كتابه " مطالعه الحديث " ، وبيّن أن عملية نشر أحاديث النبي صلى اللّٰه عليه وسلم والترويج لها وحفظها ، منذ عهد النبي صلى اللّٰه عليه وسلم وحتى تدوين كتب " الصحاح الستة " ، قد اتسمت باستمرارية خاصة لا تدع مجالاً للشك . وجدير بالذكر أن الشيخ أوضح في هذا الكتاب بالتفصيل على علوم ومعارف الحديث ، وبيّن بالأدلة والبراهين أنه علمٌ متكامل ، شرح فيه معايير فحص وتقييم المصادر والروايات والمبادئ التي اعتمدها علماء الحديث لتحديد صحة نصوص الأحاديث .

وتُطرح أسئلة بالغة الأهمية حول الحديث والسنة ، منها : ما مكانة الحديث والسنة في أحكام الإسلام وشرائعه ؟

---

[١] المرجع السابق ، ص ٣٢ .

[٢] المرجع السابق ، ص ٣٣ .

متى وكيف اكتملت مرحلة جمعها وترتيبها المضنية ؟
ما هي المصادر المعرفية الفعّالة والموثوقة التي وصلتنا ؟
ما هي معايير البحث والتحقيق التي يتبناها هذا العلم ؟

وقد قدم الشيخ في كتابه " مطالعه الحديث " إجابة بحثية شاملة لهذه الأسئلة التي تُثير بعض اللبس لدى البعض .

يتكون " مطالعه الحديث " من خمسة عشر موضوعاً ، وهي كالتالي :

١. القرآن الكريم وطاعة الرسول .
٢. ما هي الحقائق التي تشير إليها السنة ؟
٣. السنة في عصر النبي صلى الله عليه وسلم .
٤. أسلوب النبي صلى الله عليه وسلم في الدعوة والهداية .
٥. الشغف بنشر علم الحديث في عصر الصحابة والتابعين .
٦. أسباب وعوامل نشر الحديث في عصر الصحابة والتابعين .
٧. نوعان من الروايات .
٨. تدوين الحديث .
٩. فن النقد والتصحيح في الحديث .
١٠. إغراء تدوين الحديث والجهود الجليلة للمحدثين .
١١. إصلاحات الحديث .
١٢. علوم الحديث .
١٣. أبو هريرة رضي الله عنه .
١٤. الإمام الزهري رحمه الله .
١٥. كتب الحديث ومؤلفوها .

كان لدى الشيخ شغفٌ عميق وحبٌّ كبير للحديث والسنة ، وكرهٌ شديد لمنكري الحديث والكافرين به . وقد أثمر هذا الشغف الصادق تأليف هذا الكتاب .

يحتوي كتاب " مطالعه الحديث " على ٢١٥ صفحة ، بالإضافة إلى اثنتي عشرة صفحة للمقدمة والفهرس . وقد نُشر هذا الكتاب لأول مرة عام ١٩٧٩ الميلادي [١] .

(للحديث صلة)

[١] المرجع السابق ، ص ٣٣ – ٣٥ .

الإمام الخطيب الشربيني ومآثِرُه العلمية

الباحث فهيم الحق الندوي *

الخَطِيبُ الشِّرْبِينِيُّ (ت ٩٧٧هـ/١٥٧٠م) :

هو شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني القاهري ، مفسِّر ، فقيه شافعي ، مفت ، نحوي ، وصوفي . وُلِدَ في شِربين بمحافظة الدَّقَهْلِيَّةِ ، وإليها نُسِب ، ثم انتقل إلى القاهرة وأقام بها حتى توفي بعد العصر من يوم الخميس ، ٨ شعبان سنة ٩٧٧هـ ، الموافق ١٥٧٠م .

تلقّى العلم على عددٍ من كبار العلماء ، منهم : الشيخ أحمد البُرُلُّسِيّ (المعروف بالشيخ عميرة) ، وجلال الدين المحلي ، وناصر الدين اللقاني ، وجمال الدين السناني ، ونور الدين الطَّهْوَانِيُّ ، وشمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن خليل النَّشْلِيُّ الكردي ، وبدر الدين المشهدي ، وشمس الدين الرملي ، وناصر الدين الطبلاوي ، وغيرهم . وقد تصدّر للتدريس والإفتاء في حياة شيوخه ، وكان من عادته الاعتكاف في المسجد من أول شهر رمضان ، فلا يخرج منه إلا بعد صلاة العيد . وقد صنّف في علومٍ متعددة ، منها : التفسير ، والفقه وأصوله ، والعقيدة ، والنحو ، والصرف ، والبلاغة ، والتصوف .

قال صاحب شذرات الذهب (٥٦١/١٠) : " وانتفع به خلائق لا يُحصَون ، وأجمع أهل مصر على صلاحه ، ووصفوهٍ بالعلم والعمل والزهد والورع ، وكثرة النسك والعبادة . . . وبالجملة كان آيةً من آيات الله تعالى ، وحجّةً من حججه على خلقه " .

من آثاره :

في القرآن وعلومه :

(١) تفسير الخطيب الشربيني : المسمّى بـ السِّراج المُنير في الإعانة على معرفة بعض كلام ربّنا الحكيم الخبير : وهو من أشهر مؤلفاته ، وقد ذُكر في خزانة التراث (٩٣٣/١٢ ؛ ٥٠٥/٥١) ، وفي فهارس علوم القرآن الكريم لمخطوطات دار الكتب الظاهرية (٤٨٨/٣ ؛ ٣٢٣/٣) . أوله : " فهو كلامٌ معجز في رقائق منظومة ، ودقائق مفهومة ، لا نهاية

* قسم التدريب العلمي بدارالعلوم لندوة العلماء ، لكناؤ – (الهند) .

لأسرار علومه ، وقد ألّف السلف كتباً في معرفة أحكامه ونزوله ، كلٌّ على قدر فهمه ومبلغ علمه ، فشكر الله تعالى سعيهم ، ورحم كافتهم ، ثم خطر لي أن أقتفي أثرهم ، وأسلك طريقهم ، لعلّ الله أن يرزقني من مددهم ، ويعود عليّ من بركتهم " . طُبع عدة مرات ، من أبرزها : طبعة بولاق (المطبعة الأميرية) ، القاهرة ، سنة ١٢٨٥هـ ، في أربعة أجزاء . وطُبع معها كتاب فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن للشيخ زكريا الأنصاري ، طبعة بولاق سنة ١٢٩٩هـ . كما طُبع مع أنوار التنزيل للبيضاوي ، المطبعة الخيرية ، سنة ١٣١١هـ .

اهتمّ الباحثون بهذا التفسير اهتماماً بالغاً ، فصدرت حوله دراسات أكاديمية متعددة ، منها :

(١) الاستنباط عند الخطيب الشربيني في تفسير السراج المنير : جمعاً ودراسة . رسالة ماجستير ، للباحثة : أسماء بنت محمد بن عبد العزيز الناصر . جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية أصول الدين ، (٨٧١ صفحة) .

(٢) الخطيب الشربيني ومنهجه في التفسير . رسالة ماجستير ، للباحث : ثقيل ساير الشمري . كلية أصول الدين ، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية ، الرياض ، سنة ١٤٠٧هـ .

(٣) دراسة لمنهج الخطيب الشربيني في تفسير السراج المنير . رسالة ماجستير ، للباحث : عمار عبد الكريم عبد المجيد . جامعة صدام للعلوم الإسلامية ، سنة ١٩٩٦م .

(٤) الدخيل في تفسير القرآن الكريم المسمى بالسراج المنير (من أول القرآن إلى آخر سورة هود) : عرض ودراسة . رسالة ماجستير ، للباحثة : نورة عبد الرحمن عبد الله الخضير . كلية الآداب ، الإدارة العامة لتعليم البنات ، الرياض ، سنة ١٤٠٨هـ .

(٥) الدخيل في تفسير القرآن الكريم المسمى بالسراج المنير (من أول سورة يوسف إلى آخر القرآن) : عرض ودراسة . رسالة ماجستير ، للباحثة : منوّر عبد الله خليل الجدعان . كلية الآداب ، الإدارة العامة لتعليم البنات ، الرياض ، سنة ١٤٠١هـ .

(٦) مباحث علم المعاني في تفسير السراج المنير : رسالة دكتوراه ، للباحث : محمد عيسى محمد كمون . كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ، سنة ١٩٩٦م .

(٧) المباحث النحوية في تفسير السراج المنير : رسالة ماجستير ،

للباحث : نصيف محمد جاسم الراوي . كلية التربية ، جامعة الأنبار ، العراق ، سنة ١٩٩٧م .

(٨) الدرس اللغوي في تفسير السراج المنير للخطيب الشربيني : رسالة ماجستير ، للباحث : خميس فزاع عمير الدليمي . كلية الآداب ، جامعة بغداد ، سنة ١٩٩٨م .

(٩) السراج المنير : دراسة صوتية دلالية . رسالة ماجستير ، للباحث : ياسر السيد رياض السيد . كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر (الزقازيق) ، سنة ٢٠٠١م .

(١٠) منهج الخطيب الشربيني في التفسير : رسالة ماجستير ، للباحث : أحمد مسعود عيسى مسعود . كلية الآداب ، الجامعة الأردنية ، عمّان ، سنة ١٩٨٦م .

(١١) العلامة الخطيب الشربيني ومنهجه في تفسير السراج المنير : رسالة ماجستير ، للباحثة : وفاء محمود سعداوي .كلية الدراسات الإسلامية والعربية ، جامعة الأزهر ، القاهرة ، سنة ٢٠٠٧م .

(٢) مسألة في تفسير قوله تعالى : (وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ مِنَ الْأُولَى) : ذُكرت في خزانة التراث (٥٠١/٧٠) . محفوظةً في المكتبة المركزية ، مكة المكرمة (المملكة العربية السعودية) : رقم (٧٥٥/٦) . دار الكتب المصرية ، القاهرة (مصر) : (١٦٦/٦) . المكتبة الملكية (مكتبة الدولة) ، برلين (ألمانيا) : رقم (٢٩٧٨) . المكتبة الأزهرية ، القاهرة (مصر) : رقم [١٦٩٩] (حليم ٣٤٦٥٦) . رقم [٢٣٤٣] (زكي ٤١٤٦٣) . مكتبة المخطوطات ، الكويت (الكويت) : رقم (١٨٠٦) ، عن الظاهرية (٣٩٥٣) . مكتبة الظاهرية ، دمشق (سوريا) : بالأرقام (٣٩٥٣ ، ٥٩٢٢) . المكتبة المحمودية ، المدينة المنورة (المملكة العربية السعودية) : (٢٦٢٨/٣) .

(٣) مقدمة في الكلام على البسملة والحمدلة وتُعرف أيضاً بـ : مقدمة في البسملة والحمدلة ، وشرح البسملة والحمدلة والشكر لغةً واصطلاحاً : وهي رسالةٌ في بيان معاني البسملة والحمدلة وما يتصل بهما من مباحث لغوية واصطلاحية . ذُكرت في فهارس علوم القرآن الكريم لمخطوطات دار الكتب الظاهرية (١٨٧/٢ ، ٣٠٠/٢) ، وخزانة التراث (٢٦٦/١٠٩) . أولها : " الحمد لله الذي بلغ أهل العلم من مورد جوده آمالاً ، وأسبغ عليهم جلائل نعمه . . . " آخرها : " . . . قال إمامنا الشافعي رضي الله عنه في خطبته : الحمد لله الذي لا يؤدي شكر نعمة من نعمه إلا بنعمة . . . " . موجودة في المكتبة

الأزهرية ، القاهرة (مصر) : رقم [٢٣٤٣] (زكي ٤١٤٦٣) . مكتبة المخطوطات ، الكويت : رقم (١٨٠٦) ، عن الظاهرية (٣٩٥٣) . المكتبة الظاهرية ، دمشق (سوريا) : بالأرقام (٣٩٥٣ ، ٥٩٢٢) .

في الفقه :

(٤) مُغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج : وهو من أشهر كتب الفقه الشافعي ، وهو شرحٌ على كتاب منهاج الطالبين للإمام أبي زكريا يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) . ذُكر في خزانة التراث (٣٥٠/١٠٢ ؛ ٨٣١/٩٩) . طُبع في مصر بمطبعة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٣٥٩هـ/١٩٤٠م ، ثم سنة ١٣٧٧هـ ، كما طُبع بدار الحديث ، القاهرة ، في ستة مجلدات . وطُبع في بيروت بدار الكتب العلمية سنة ١٤١٥هـ/١٩٩٤م في مجلد واحد ، كما طبعته دار المعرفة ، لبنان ، سنة ١٩٩٧م ، بعناية محمد خليل عيتاني ، وصدرت له طبعة عن دار الفيحاء أيضاً في ثمانية مجلدات .

(٥) النجم الثاقب شرح تنبيه الطالب : وهو شرحٌ في الفقه الشافعي على كتاب التنبيه للإمام أبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي . ذُكر في خزانة التراث (٨٠٣/١٠٤) . صدر عن دار المنهاج ، باعتناء اللجنة العلمية بمركز دار المنهاج للدراسات والتحقيق العلمي ، سنة ٢٠٢١م ، في عشرة مجلدات . نسخة موجودة في مكتبة مكة المكرمة (المملكة العربية السعودية) : (٧٩ فقه شافعي ، ٩٠ فقه شافعي) .

(٦) الإقناع في حل ألفاظ أبي شجاع : شرح غاية الاختصار . فرغ من تأليفه سنة ٩٧٢هـ . الطبعات القديمة : طبعة حجر ، مصر ، سنة ١٢٨٣هـ . الطبعة الشرفية ، سنة ١٢٩٨هـ . مطبعة عثمان عبد الرازق ، سنة ١٣٠٤هـ . الطبعة الوهبية ، سنة ١٣١١هـ . طبعات مع الحواشي : بهامشه حاشية الْمَدَابِغِيِّ ، جزءان ، بولاق ، ١٢٩١هـ . بهامشه تقريب الشيخ عوض وبعض تقريرات الباجوري ، بولاق ، ١٢٩٣هـ . مع حاشيتي سليمان البجيرمي ، الميمنية ، ١٣٠٧هـ (ج ٢ ، ص ٢٩٦ ، ٣٣٠) . الطبعات الحديثة : دار الفيحاء (دمشق) ودار المنهل : من أجود الطبعات تحقيقاً وضبطاً . ودار الكتب العلمية ، بيروت . ودار الفكر ، بيروت ، بتحقيق : مكتب البحوث والدراسات . ودار الخير ، سوريا ، سنة ٢٠٠٢م ، بتحقيق : عبد الرحمن الكشك .

(٧) المواهب السنية في شرح البهجة الوردية : ذُكر في خزانة التراث (٢٨٧/١٠٣) . أوله : " نحمدك يا من أفضت علينا بسوابغ النعم ، وأظهرت لنا بفضل رحمتك بهجة دينك الأقوم . . . فلما كانت البهجة

للعلامة ابن الوردي قد تبلجت سواطع أنوارها عن ظلام الأوهام . . . سميته : المواهب السنية في شرح البهجة الوردية " . نسخة في المكتبة الأزهرية (مصر) ، برقم : [١٠] (١٥٧) .

(٨) تذكرة الحاذق بشرح مقدمة الزاهد : ذُكرت في خزانة التراث (٤٦/١٠٣) . نسخة في المكتبة الأزهرية ، برقم : [٢٤٦٩] (زكي ٤٠٨٢٤)

(٩) حواشٍ مأخوذة من فتاوى الرملي : ذُكرت في خزانة التراث (١١٩/١٠٣) . نسخة في المكتبة الأزهرية ، برقم : [٢١٧٠] (سقا ٢٨٩٧١)

(١٠) ختم المنهاج وختم البهجة والتنبيه : ذُكر في خزانة التراث (٢٥٢/١٠٤) . نسخة في المكتبة المركزية بجامعة الملك فيصل (مكتبة الشيخ محمد بن عبد الله آل عبد القادر) ، برقم : (١٠٢/٣/١) .

(١١) مسألة في فرح الميت بمن يزوره : ذُكرت في خزانة التراث (٥٠٢/٧٠) . نسخة في المكتبة المركزية ، برقم : (٧٥٥/٧) .

(١٢) مناسك الحج : ذُكرت في خزانة التراث (٧٢١/١١) . وردت مع حاشية حسب الله المكي ، وطُبعت في مصر سنة ١٣١١هـ ، كما طُبعت بدار الكتب العلمية بتحقيق ماجد حامد حرز المحمدي .نسخة في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، برقم : (١ – ٠٧٢٤٢) .

(١٣) الخصال المكفِّرة للذنوب : كتابٌ في بيان ما يُكفِّر الذنوب ، وفيه مسائل على طريقة السؤال والجواب ، ومنها مسألة تكفير الحج للذنوب . صدر بتحقيق : حسام الدين عفانة ، وطُبع في القدس سنة ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م ، في (١١٠) صفحات .

في أصول الفقه :

(١٤) البدر الطالع في حلّ ألفاظ جمع الجوامع : ويُعرف بـ شرح الخطيب الشربيني على جمع الجوامع في أصول الفقه . وهو شرحٌ على كتاب جمع الجوامع للإمام تاج الدين السبكي . ذُكر في خزانة التراث (٥٥٠/٥٩) . نشرته دار الرسالة ، القاهرة ، بدراسة وتحقيق : سيد بن شلتوت الشافعي ، في جزئين . كما طُبع في دار الكتب العلمية بتحقيق محمود أمين السيد . وتوجد منه نسخ خطية في : المكتبة المركزية (المملكة العربية السعودية) : رقم (١/١٨٩٣ – مجاميع) . جامعة الملك سعود : رقم (١٨٩٢) . المكتبة الأزهرية (مصر) : رقم (٩٣٧٠٤) .

(١٥) شرح منهاج الدين في شعب الإيمان : وهو شرحٌ لكتاب شعب الإيمان للإمام أبي عبد الله الحليمي الجرجاني الشافعي (ت ٤٠٣هـ) . وهو كتابٌ جليل ، يقع في نحو ثلاث مجلدات ، يشتمل على أحكامٍ

كثيرة ، ومسائل فقهية ، ومباحث تتعلّق بأصول الدين .

في العقائد :

(١٦) مقدمة في أصول الدين : ذُكرت في خزانة التراث (٤١٣/٤٣ ؛ ٦٢٨/١٠٠) . نسخة في دار الكتب المصرية ، برقم : (٢٠٨/١) . ونسخة في مكتبة مركز الوسائط التاريخية (البحرين) ، برقم : (رقم التسلسل ٢٢٣)

(١٧) عقيدة الخطيب الشربيني : ذُكرت في خزانة التراث (٧٢٧/١٠٥) . وهي محفوظة في المكتبة الأزهرية ، برقم : [٢١٥] (٣٦٠٥) ، و [٣٤١] (٤٤٤٨) .

في التصوف :

(١٨) رسالة الشربيني : ذُكرت في خزانة التراث (٤٠١/١٠٦) . وهي محفوظة في المكتبة الأزهرية ، برقم : [٨٢٩] (حليم ٣٣٤٥٤) .

(١٩) كاشفة الحجاب والرين لرؤية رب العالمين في الدارين : ذُكرت في خزانة التراث (٨٧٩/٨٩) . نسخة في المكتبة الظاهرية ، برقم : (٤١٣٤) .

في السيرة :

(٢٠) قصة المعراج : ذُكرت في خزانة التراث (٦٢٨/١٠٨) . وهي محفوظة في المكتبة الأزهرية ، برقم : [٢٤٨٤] (صعايدة ٣٩٩١٦) .

(٢١) مولد النبي صلى الله عليه وسلم : ذُكرت في خزانة التراث (٧١٧/١٠٨) . وهي محفوظة في المكتبة الأزهرية ، برقم : [٢٠١٥] (حليم ٣٤٠٦٩) .

في النحو :

(٢٢) إعراب شواهد قطر الندى وبلّ الصدى أو شرح شواهد القطر : طُبع في شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر سنة ١٣٩٦هـ ، كما طُبع طباعة حجرية بمصر سنة ١٢٨٣هـ . وصدر عن دار الكتب العلمية (بيروت) سنة ٢٠١٨م بتحقيق محمد العزّازي ، بعنوان : شرح شواهد قطر الندى . كما نُشر ملحقاً بـ حاشية السجاعي على شرح قطر الندى في طبعات متعددة ، منها طبعات دار الكتب العلمية والمكتبة العصرية . نسخة في المكتبة الأزهرية ، برقم : [٦١٢] (٤٠٤٠) .

(٢٣) مغيث الندى إلى شرح قطر الندى : ذُكر في خزانة التراث (٧٥/٤ ؛ ٣٧/٤١٧) . وصدر عن دار الكتب العلمية بتحقيق محمد عبد القادر شاهين .

وتوجد منه نسخ خطية في المكتبة المركزية : رقم (١٥٠٦) ، ومنه عن الظاهرية (٤٨٣/٤٨١٣) ، وعن القدس (٩٢٣٦) . المكتبة

الظاهرية (ضمن مكتبة الأسد) : رقم (٦٧) . مكتبة الدولة (ألمانيا) : رقم (٦٧٤٥) . مكتبة الأوقاف (سوريا) : بالأرقام (٧٢٤/٢٨٩٢ ، ٧٧٠/٢٩٢١ ، ٨١٩/٢٩٥٦) . المكتبة الأزهرية (مصر) : رقم [٩٧٤] : (٧٦١٧) رقم [٢٦٠٣] : (حليم ٣٣٦٢٤) رقم [٢٧٨٦] : (٣٦٢٩٣) مكتبة الفاتيكان : (١/٨٣٣ ، ٢/٨٣٤) .

(٢٤) نور السجية في حل ألفاظ الآجرومية : حقّقه ودرسه الشيخ عبد الله بن عبد العزيز الطريقي في رسالة علمية بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة سنة ١٤١٥هـ . ونشرته دار المنهاج سنة ٢٠١٥م ، بعناية سيد بن شلتوت الشافعي ، في مجلد واحد . كما طُبع في دار الكتب العلمية بتحقيق محمد علي ألماح .

(٢٥) فتح الخالق المالك في حل ألفاظ ألفية ابن مالك : أوله : " الحمد لله الذي أنزل قرآناً عربياً على أفضل خلقه ... " . فرغ من تأليفه سنة ٩٧٦هـ . ذُكر في إيضاح المكنون (١٦١/٢) ، وخزانة التراث (٦٦٢/١٠٧) . وصدر بتحقيق السيد سيد أحمد في مجلدين (طبعة متداولة) . نسخة في المكتبة الأزهرية ، برقم : [٩١] (٧٣٤) ، وهي في مجلد ، بخطّين مختلفين ، وفيها آثار رطوبة ، وعدد أوراقها (٣٣٧) .

في التصريف :

(٢٦) الفتح الرباني في حل ألفاظ تصريف الزنجاني : ذُكر في خزانة التراث (٧٥/٧٠) . نشرته دار الضياء ، الكويت ، بدراسة وتحقيق : عبد الحميد السيد دومة ، سنة ٢٠١٨م ، في (٤٠٨) صفحات . نسخة في المكتبة المركزية ، برقم : (٩٥٣٣ ، عن القدس) .

في المتفرقات :

(٢٧) سواطع الحكم : ذُكر في خزانة التراث (٤١٢/٤٣) .

(٢٨) رسالة في برّ الوالدين : ذُكرت في خزانة التراث (٤١٠/٤٣) . نسخة في دار الكتب الخديوية (مصر) ، برقم : (٧/٤) .

انظر ترجمته في :

شذرات الذهب في أخبار من ذهب (٥٦١/١٠) . إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون (٥٨٧/٢) . هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين (٢٥٠/٢) . معجم المؤلفين (٢٦٩/٨) . معجم المفسرين (٤٨٥/٢) . الدليل إلى المتون العلمية (ص ٤٩٢) . معجم المطبوعات العربية والمعرّبة (١١٠٩/٢) . الموسوعة الميسّرة (١٩٦١/٢) .

أضواء على حياة العلامة محمد فريد وجدي

دائرة معارف القرن الرابع عشر الهجري – والعشرين الميلادي

(الحلقة الثانية)

دكتور/ غريب جمعة*

عرفنا في الحلقة السابقة ما قاله الأستاذ محمود عباس العقاد ، تعليقاً على توقف جريدة الدستور التي أنشأها الأستاذ محمد فريد وجدي ، بسبب عجزه عن النهوض بتكاليفها وكثرة الديون التي تراكمت عليه ، ورفضه التام للعرض السخي الذي تقدم به حزب " تركيا الفتاة " العلماني لسداد ما عليه من ديون وضمان استمرار جريدته في الصدور بشرط أن يحذف الشعار الذي وضعه لها ، وهو : " لسان حال الجامعة الإسلامية " .

ولكن الأستاذ وجدي – رحمه الله – وضع هذا العرض وما شابهه من عروض تحت أقدام مبادئه وقيمه حتى ولو كان مثقلاً بالديون وجريدته مهددة بالتوقف عن الصدور .

دائرة معارف القرن الرابع عشر الهجري – العشرين الميلادي :

لابد من الوقوف وقفة طويلة بعض الشيئ أمام ذلك العمل العلمي الضخم الذي قام به رجل واحد بدون معونة أحد إلا معونة الله تبارك وتعالى ، وقد شاء سبحانه أن يكون توقف جريدة " الدستور " بالنسبة للأستاذ وجدي ، نهاية مرحلة وبداية مرحلة جديدة في حياته ، وقد أوفى على الأربعين من العمر مرحلة يتمثل فيها الصبر الدءوب ، المقرون بقوة العزيمة وصلابة الإرادة وشدة التصميم وعظم التحدي لما أصابه من إخفاق في ميدان الصحافة السياسية اليومية .

لقد عاد الفارس إلى ميدانه الحقيقي الأصيل الذي يصول فيه ويجول بين كر وفر وإقبال وإدبار .

عاد ليواصل جهاده الشاق في البحث والدراسة ؛ عاد ليخرج للناس ثمرات هذا الجهاد شهية في صورة زاد طيب كريم يقدمه للقراء ليسّهل

* أمين رابطة الأدب الإسلامي العالمية بمصر .

عليهم الصعب وييسّر العسير ، ويقرب البعيد ، ويلين العصي ، ويظهر الخفي . فها هو ذا بعد جهاد شاق وعمل مضنٍ تسع سنين دأباً يُخرج للناس ما أطلق عليه :

" دائرة معارف القرن الرابع عشر الهجري والقرن العشرين الميلادي " في عشرة مجلدات ضخمة يتجاوز عدد صفحاتها ثمانية آلاف صفحة !! وما كاد يبدأ فيها حتى أعلن عنها في جريدتي " اللواء " و " المؤيد " بأنها " مقتبسة من سبع دوائر معارف إفرنكية ومن مجموعة ثمينة من كتب عربية وفرنسية ، وهي تصدر على هيئة أجزاء شهرية وتبلغ صفحات الجزء ثمانين صفحة ، وقيمة الاشتراك فيها ستون قرشاً مصرياً !! عن كل مجلد ، ويقبل الثمن مقسطاً .

وكان ذلك الإعلان في شهر أغسطس سنة ١٩١٠م .

وقد طبعها أول طبعة في مطبعته التي اشتراها لهذا الغرض النبيل وسماها باسمها .

وهنا يتوقف القلم ، ولابد أن يتوقف . . ليسأل الإنسان نفسه : أي رجلٍ كان ذلك الرجل ؟

وأي إيمان بالإسلام والعلم واللغة والوطن يعمّر قلبه ؟

رجل يراجع سبع دوائر معارف أجنبية كبرى ويستوعب ما فيها من مواد مختلفة ثم يترجم هذه المواد ، ويعيد صياغتها صياغة عربية إسلامية ، وهذا مما تتميز به دائرته عن غيرها ، هذا بالإضافة إلى الكتب العربية والإسلامية الأخرى ، سواء كانت من كتب التراث أو من الكتب المعاصرة . . . كل ذلك الكم الهائل من المعارف يمتصه الرجل ثم يخرجه رحيقاً حلواً سائغاً لطلاب المعرفة ومحبي الثقافة والباحثين عن العلم مع تفاوت أعمارهم واختلاف مشاربهم وتنوع أفكارهم وتعدد ثقافاتهم ، وكل يجد فيها ما يبتغيه بإذن الله .

دائرة المعارف في أعين معاصريه :

لكي تقدر أخي القارئ عظمة الجهد المبذول والعمل الموصول في تأليف هذه الدائرة ولكي تعرف القيمة العلمية والثقافية لها وكيف قدَّمت خدمة جليلة إلى اللغة العربية والدين والأدب والثقافة – لكي تعرف ذلك كله لابد أن نذكر أقوال بعض معاصري الأستاذ وجدي ، في هذه الدائرة وهم من أعلام الثقافة والصحافة والفكر الذين يشار إليهم بالبنان :

(١) يقول الدكتور محمد حسين هيكل – وزير المعارف (الأسبق) :

" إن فريد وجدي لم يكتف فيها (أي في دائرة المعارف) بوضع قواعد البحث ونظامه والإشراف على أبحاث سواه ، بل تفرد فلم يستعن بأحد ولم يشرك في مجهوده مجهود غيره ، وهو الذي بحث ونقّب ورتّب ونظّر ، وبحسبك هذا لتعرف مشقة العمل وعظم المجهود . ولو أن هذه الآلاف من الصفحات كانت كلها في فن أو علم واحد لكان ما تقتضيه من مجهود أقل مما تقتضي هذه العلوم النقلية والعقلية بجميع أصولها وفروعها ، ذلك أن اتحاد اتجاه الذهن وإمعانه في الغوص على نوع واحد من المعاني يلذه ويشحذه ويزيده دقة في التصوير وفي التفريق بين الألوان البادية التشابه لذي النظر السطحي ، ولغير المتعمق .

فأما هذا الانتقال من علم إلى علم ، ومن فن إلى فن فعسير كل العسر ، يُحدث في الذهن وقوفاً كلما شاء أن يتحول إلى اتجاه جديد ، وليس هذا الشأن قاصراً على التفكير وحده ، بل إنك لتشعر به ولو كان عملك قاصراً على مجرد النقل والترجمة " . اهـ .

(٢) يقول الأستاذ داود بركات – رئيس تحرير الأهرام (الأسبق) : " رجل عمل وحده منفرداً وعمل جاداً وعمل ساهراً ، عمل لا ليتلألأ على صدره نيشان ، ولا تدفع له رتبة ، ولا ليقام له حفل تكريم " إلى أن يقول : " إن المنافق والدسّاس والرجل المداجي إنما يُقدَّم على صاحب " دائرة المعارف " في كل شيئ ، يقدم عليه بالمال ينصب عليه انصباباً ، وبالمقام يرفع ويعلو ، وبالتقديم الذي لا يكاد ينتهي عند حد .

أما هو وقد كلَّ دماغه ونحل جسمه وفرغ جيبه وقصر عمره ينقل العلم إلى أمته فإنه في عزلة وإنه لمجهول " .

ثم يدعو إلى إنصافه وتسجيل عمله ؛ فإن لم يفعلوا فإن الأهرام يسجل على صدره جلال هذا العمل الذي أتمه ونفع وفائدته الكبرى " . ثم يقول :

" إنا ليعزونا الأسى والأسف إذا نحن ذكرنا طوائف من العلماء والأدباء الذين كنا نراهم يجتمعون آلافاً من أجل قصيدة تروقهم أو منظومة تتملك عليهم مشاعرهم وقلوبهم ، أما إذا وجدوا عملاً كهذا العمل الجليل الذي قام به وجدي ، فإنهم لا يولونه اهتماماً ولا يعبأون به بل لا يكادون يعرفونه " إلى أن قال : " لقد عمل لأمته ولنفسه عملاً لا شك أنه كبير وجليل " . [افتتاحية الأهرام يوم ١٣ أبريل سنة ١٩٢٥م] .

(٣) يقول الشاعر الكبير خليل مطران : " بارك الله في الرجل وفي

همته الغلابة على الصعوبات فقد فعل بمفرده ما لا تستقل بفعله الجماعات " إلى أن يقول : " إن أعظم الأعمال في الشرق إنما تقوم برجل " .

(٤) يقول الصحفي العجوز توفيق حبيب : " إذا فاخرت سوريا ولبنان بالبستاني وعمله ؛ فإن مصر تفاخر بهمة فريد وجدي ، فقد كان إلى جانب بطرس البستاني أولاده ونسيبه سليمان وغيرهم من فحول العلماء وكبار الأدباء .

أما وجدي فقد عمل بمفرده في وضع دائرة معارف القرن العشرين وعانى الأمرين في الإنفاق على الطبعة الأولى ، وتصريف أجزائها ، ثم أعاد طبعها ، فأدركت وزارة المعارف تقصيرها في مساعدته ، وقررت شراء بضع مئات منها وضعتها في مكتبات المدارس .

إن دائرة معارف وجدي تمتاز على دائرة البستاني بتوخيها شرح بعض المسائل الدينية ، فكلمة " الله " مثلاً مبسوطة في نحو عشرين صفحة ، وكلمة " بَيْع " مشروحة شرحاً فقهياً إسلامياً مسهباً ، وكلمة " مكتبة " دوَّن الكاتب فيها خلاصة طيبة عن المكتبات العامة في مصر " .

(٥) يقول الكاتب الكبير الأستاذ أنور الجندي : " إنه استطاع بحق أن يعطي الأمة العربية دائرة معارف على قاعدة وقيمة مزج فيها بين علوم العرب والمسلمين وعلوم الفكر الغربي والمدنية الغربية على نحو يسير في أسلوب سمح سهل ، يبسط المعقدات من الأمور والعلوم ، ويذكر في كل خطوة أنه يحدث أبناء اللغة العربية والعالم الإسلامي ؛ فهو ذاكر أبداً فضل العرب على الحضارة ، وهو مقدم أبداً للعرب فكر الغرب وحضارته في تسامح وإخلاص واحترام لقارئه ، وإيمان بالعلم والدين معاً ، وتتجلى عظمة هذا الباحث في مراجعة أبواب : أدب – تاريخ – فلك – لغة – إسلام – إله – روح – دين . . . إلخ .

فإذا ذكرنا أنه لم يكن مؤيداً من جهة رسمية ، أو أنه كان لا ينتظر على عمله جزاءً مادياً أو أدبياً عجبت لقوة خلق هذا الرجل ، وصلابته في العمل لوجه الله والوطن والعلم خالصاً " .

ثم يواصل الأستاذ الجندي قوله : " ولا يمنع ذلك التقدير للعمل الضخم من أن تُحصى عليه بعض الهنات والأخطاء ، أو تفوت الباحث بعض المواد أو يتعثر العمل في بعض جوانبه على نحو من الأنحاء ، وإذا كان (الدكتور هيكل ، ورشيد رضا صاحب المنار ، وأحمد تيمور باشا) قد أحصوا على دائرة معارف وجدي بعض الأخطاء ؛ فذلك أمر طبيعي

لعمل فردي أتمه صاحبه في بضع سنوات .

ويكفي أنه استطاع إتمامه بمفرده ، بينما عجز بطرس البستاني ، عن إتمام دائرة معارفه ، على الرغم من المساعدة السخية التي فرضتها الحكومة المصرية له حين ذاك بشراء ألف نسخة من الدائرة ، وعجز خلفاؤه كذلك ، فلم يتم هو أكثر من ستة أجزاء ، وأعد خلفاؤه ثلاثة أجزاء حتى عام ١٩٠٠م ، ووقفوا عند حرف " عين " . اهـ .

(٦) يقول الدكتور محمد رجب البيومي – رحمه الله – عميد كلية اللغة العربية بالمنصورة ، ورئيس تحرير مجلة الأزهر (الأسبق) : " كانت مصر في مطلع القرن العشرين ذات حاجة ماسة إلى ذخيرة وفيرة من المعارف الإنسانية في شتى العلوم الحديثة فليس بها من المؤلفات العصرية ما يسد فراغاً هائلاً يوحي بالجهالة الأمية ، وينذر بالتقهقر السريع إلى عصور الظلمات ، فعكف الأستاذ وجدي ، على إصدار دائرة معارف القرن العشرين وحده في عشرة مجلدات ضخام ، وأعد لها مطبعة خاصة تخرج على الناس بإنتاج الكاتب وحده .

وإذا علمنا أن هذا العبء الثقيل لا ينهض به في أممٍ الغرب غير الجماعات المتنوعة واللجان المختصة ممن يقضون أعواماً طوالاً متساندين في البحث الدائم والاطلاع الجاهد حتى يصدروا إحدى دوائر المعارف في ثقافة واحدة ، ثم تقام لهم حفلات التكريم ، وتتقاطر عليهم أوسمة التقدير ، ويمنحون على الفور أرفع الدرجات الفخرية من الجامعات العريقة .

إذا علمنا ذلك ورأينا الأستاذ وجدي ، ينهض بالعبء المرهق فيقوم به في تسع سنوات على أحسن ما يستطيع ، ويقدم للغة العربية وحده مكتبة حافلة تضم شتى المعارف الإنسانية من قديمة وحديثة ، فإننا نتساءل : كيف وجد من الأعصاب القوية والعزيمة الماضية ، والاطلاع المتشعب ما هيأ له النجاح دون أن يطمع في مأرب مادي ، أو يتعلق بجاه أدبي ، مكتفياً بما يستشعره من سعادة نفسية ، إذ يشارك في بناء الثقافة الحديثة ، ويمهد لأمته طريق المعرفة والدراية .

ومهما قيل من أن دوائر المعرفة تستنفد أغراضها لأجل محدود ؛ فإن بها من التراث الفكري ما يكفل لها البقاء التاريخي ، وإن غيرت المكتشفات الحديثة شيئاً من مقرراتها المؤكدة أو أضافت إليها من الشرح ما يسير بها إلى الكمال المنشود ؛ فإن ذلك من شأن الحياة ولن يُعَفِّيَ على جهد كادح وإنتاج خصيب " . اهـ .

(للحديث بقية إن شاء الله)

صلتي بالأديب الضليع والشاعر المفلق
" محمد المجذوب "
(١٩٠٧ – ١٩٩٩م)

د / أبو سحبان روح القدس الندوي *

في سنة ١٩٧٥م تمت إجراءات الالتحاق بكلية الدعوة وأصول الدين في الجامعة الإسلامية بالمدينة ، وذلك بعد انتهاء موسم الحج ، باشرتُ الدراسة في السنة الأولى من الكلية ، وتعرَّفت على أساتذتي الأجلاء .

ومن بين أولئك أستاذي الجليل محمد مصطفى المجذوب (١٩٠٧ – ١٩٩٩م) سوري الجنسية ، مؤلف كتب كثيرة ، وصاحب ديوان شعر ، كتب في أصناف من الأدب والشعر ، والقصة ، والرواية ، والمسرحية ، والرحلة ، والتراجم ، وما إليها .

أما تقييد ذكريات أستاذي المجذوب والتعريف به فكان عليَّ ديناً ، لأني كتبت عن طائفة من الأعلام الذين عرفتهم ، وكان الاعتناء به أولى وأحرى ، والتسويف أجّل ذلك ، شأن كعب بن مالك ، سامحني أستاذي رحمه الله وأمطر عليه شآبيب رحمته ، وأدخله فسيح جناته .

وهأنذا أسجّل ذكريات وانطباعات وزيارات ولقاءات تنوط به إبان إقامتي في المدينة ، تبدأ قصة ذلك من قاعة الصف إلى منزله من قباء مرتين أو ثلاثاً في شهر ، حتى تخرجت في الجامعة الإسلامية ، ورجعت إلى لكناؤ ، ثم انقطعت صلتي به ، وأنا شُغلت في مهمة التدريس و . . . ثم تجدّدت واستأنفت حين مجيئه إلى لكناؤ ، وصحبتُه في حلّه وترحاله ، حتى مغادرته مطار بومبائي .

قرأت عليه كتابه " الأدب العربي " الذي أعدّه للسنة الأولى من الكلية ، ومنهجه فيه أنه أودع في كتابه قطعة موجزة من مصادر الأدب

* قسم الاختصاص في علوم الحديث ، دار العلوم لندوة العلماء ، لكناؤ .

وفق العصور من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث ، وعالج عقب كل مقتبس ، الدراسة والتحليل والتميز والأسلوب والتطبيق والموازنة بين عصر وآخر ، وما إلى ذلك ، هذا الأسلوب لدراسة الأدب مفيد وناجح جداً ، يفتح للدارس آفاقاً في ثقافته ومعارفه بلا ريب .

وفي السنة الثانية من الكلية درستُ عليه " كتاب السيرة " لابن هشام ، وكان الأستاذ يركّز في محاضرته على إبراز معالم في فقه السيرة ، وأسس الدعوة وآداب الدعاة ودروساً من مواقف مشرقة في السيرة العطرة ، وقد تجلّت في هذه الدروس مهارات المجذوب ونبوغه وتمكنه من الثقافة المتنوعة وتصويره الوقائع المؤثرة كأنها رأي العين ، ويطوف بدارسيه من الماضي إلى الحال ، ومن الغيب إلى الشهود ، وإضافة إلى ذلك يتحمس ويتنشط ، ويحزن ويبكي ويُبكي زملائي ، كلّ ذلك في أسلوب أدبي شيق ، ولا يشعرون بانتهاء الحصة حتى يُضرب الجرس إشعاراً ببدء حصة أخرى ، فيتوقف الدرس ، وترقأ الدموع ، ويهدأ الجو للسّماع إلى درس آخر . . . فوقع في قلبي حبّه والولوع به كل موقع وحفزني على زيارته في منزله من قباء ، وتعريف نفسي ، ومتى علم أستاذي أنني جئت من " ندوة العلماء " زاده ارتياحاً وسروراً وشوقاً وحنيناً إلى زيارة الندوة ، وكان الأستاذ معجباً بها ودعوتها وفكرها ومنهجها ووسطيتها وجمعها بين القديم والجديد ، ومولعاً بأعلامها المبرّزين في مجالات العلم والثقافة والأدب ، ومقدّراً بكتابات الشيخ أبي الحسن الندوي في إرساء معالم الفكر والدعوة وحقول العمل الإسلامي وخدمة الدين والإنسانية ومعالجة الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية وتحليله الإبداعي بماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، وقد أشاد المجذوب بأعمال أبي الحسن الندوي في كتابه " علماء ومفكرون عرفتهم " (١ – ١٣٥ – ١٥٤ ، ط : دار الاعتصام بالقاهرة) .

وكان مما يلزم كلَّ طالبٍ في السنة الرابعة من الكلية أن يكتب مقالاً تحت إشراف أستاذ ، تمهيداً وتدريباً على كتابة المقال ، فكتبت أنا كذلك مقالاً بإشراف الأستاذ المجذوب ، بعنوان : " منهج الرسول في التربية والتعليم " ، قرأت هذا المقال في " المخيم الصيفي العالمي للشباب المسلم " الذي أقامته " رابطة الجامعات الإسلامية " بالرباط في خانس فور الأيوبية بباكستان ما بين ١ – ٢٤ يوليو ١٩٨٧م ، ونقله إلى الإنجليزية

أثناء إلقائه الأستاذ الدكتور محمود أحمد غازي (١٩٥٠ – ٢٠١٠م) أحد الباحثين الكبار ، وفيما بعدُ ترجمه إلى الأردية السلسة صديقي الفاضل محمد وصاف عالم الندوي (عضو هيئة التدريس بدار العلوم) ، ثم نشرته " مؤسسة القدس لخدمة الحديث وعلومه " في كتاب مستقل عام ٢٠٠٦م ، مع مقدمة حافلة تضمنت ما ألف عن جانب من جوانب السيرة باللغتين العربية والأردية .

عُقدت " ندوة عالمية للأدب الإسلامي " في رحاب دار العلوم لندوة العلماء بلكناؤ في ١٧ – ١٩ أبريل ١٩٨١م ، حضر فيها أعلام وشخصيات بارزة من الأقطار الإسلامية والعربية وغيرها من البلاد أمثال : دكتور عبد الرحمن رأفت الباشا (١٩٢٠ – ١٩٨٦م) من أدباء العربية المبدعين ومؤلف سلسلة " صور من حياة الصحابة والتابعين " ، الذي طار صيته كلَّ مطار ، وعمر بهاء الأميري (١٩١٦ – ١٩٩٢م) وأستاذي محمد المجذوب ، وله إسهام مشكور في أعمال الندوة العالمية وبرامجها وإنجازاتها ، وبعد انتهاء الندوة العالمية تم زواجي في ٢٢ أبريل برئاسة شيخي أبي الحسن الندوي وحضور أساتذتي وزملائي وتلامذتي في حفل الزواج الميمون . والحمد لله .

وقد أتاح لي عقد الندوة فرص اللقاء من أستاذي (وهذا غيض من فيضه) والقيام بخدمته والتجول معه في مدينة لكناؤ ودلهي وبومبائي ومنطقة غجرات وما يجاورها ، حتى مغادرته باب الهند ومدخلها ، وقد غمر مجيئه في محيط دار العلوم جو العلم والعربية والمحاضرات والمجالس العلمية والأدبية ملموساً ومُشاهداً ، وإقامته في دار العلوم كانت من آماله المنشودة ، وقد سجّل شعوره وأحاسيسه وانطباعاته في رحلته التي سماها " مشاهداتي في الهند " . المطبوعة بدار الاعتصام في القاهرة .

وها أنا أنقل من رحلته نُبذاً وزُبداً وشذرات دبجها يراعه الأدبي السيال فيما يأتي ، وأسترعي انتباه القارئ إلى التمتع بها إن شاء الله .

" لقد طالما قرأت وسمعت عن مميزات هذه المؤسسة العملاقة في فن التربية الإسلامية ، حتى بت كبير التوق إلى العيش في وسطها ولو لأيام قليلة ، تُمكنني من التزود بما يهمني من المعلومات العملية في هذا الميزان " . (ص : ١٥) .

واستمر إضافةً : " وقد سبق أن أودعت بحثي المتقدم إلى المؤتمر العالمي للتعليم الإسلامي بمكة سنة ١٩٩٧م بعض الإشارات إلى تجارب هذه المؤسسة

في حقل التربية الإسلامية ، ووجّهت أنظار المعاهد الإسلامية إلى الانتفاع بها عن طريق إرسال بعثات طلابية للإقامة فيها لمدة محدودة " . (أيضاً) .

وأضاف المجذوب إعجابه بندوة العلماء قائلاً : " إنما كان إعجابي بندوة العلماء حتى الأمس عن طريق السَّماع ، ثم عن طريق طلابها الوافدين إلى المدينة .

أما الآن فقد تهيأت لي كل الأسباب التي تجمع بين الخبر والخبر ، فلا غرابة إذا رأيتني شديد الحرص على تتبع كل ما أمكنني تتبعه من واقع الحياة وألوان العمل في هذا الصرح العلمي " . (أيضاً) .

وأفاد عن جولته في الحي الجامعي وإقامته فيه قائلاً : " ولما حانت صلاة العصر كنتُ استرددتُ الكثير من الراحة التي أنا بحاجة إليها ، ومضينا مع الإخوة في جولة على أقسام الندوة ووحداتها وباحاتها الرحيبة ". (١٤ – ١٥) .

ثم بعد الفراغ من انطباعاته عن ندوة العلماء وإعجابه بها انتقل إلى ذكر ارتياحه وسروره عما لقي من تلميذه هذا ، وعقد له عنواناً في رحلته المسماة " مشاهداتي في الهند " (ص : ١٥) " أنيسي الملازم " فقال :

" وشدّ ما كان سروري بالغاً عندما رأيتُ بين مستقبلي ذلك الابن العزيز الذي كان أحد النماذج الكريمة ، التي قدمتها الندوة إلى الجامعة الإسلامية ، وبعد السنوات الأربع أعادته الجامعة إلى الندوة مدرساً ناجحاً يجمع بين الحسنيين من إعداد الندوة وروحانية المدينة ، ولقد طالما أعجبت به طالب علم لا يكتفي بما يتلقاه من محاضراتي وزملائي في الجامعة فهو يلاحق أساتذته بالسؤال عن كل ما غمض عليه ، ولا أنسى تلك الزيارات اللطيفة التي كان يخصني بها في منزلي من قباء للغاية نفسها بين الحين والحين .

وأنه والله لضرب من الوفاء سعيد أن أجد أمثال أبي سحبان روح القدس هذا ، في كل بلد زرته من العالم الإسلامي ، شباباً يؤدون رسالة جامعتهم الأثيرة على خير وجه ، ويحملون لي في الوقت نفسه أكرم مشاعر الود وأطيب الذكريات ، وهم بعض الأحبة الذين قلت عنهم في رائيتي الهندية :

هأنذا أني اتجهت فواجد صفياً يساقيني المودة والبرا

وأنهى الأستاذ حديثه عن تلميذه إشادة به : " ولكم يسرني أن يكون هذا الفتى الصالح أنيسي الملازم مدة وجودي في لكناؤ ، بل وفي

معظم الأمكنة التي قدرت لي زيارتها من الهند ، لا يكاد يفارقني في حل ولا ترحال " . (ص : ١٦) .

وبعد ذكر هذه الإطالة على رؤية الأستاذ محمد المجذوب لندوة العلماء وصلتي به أودُّ سرد سيرته الذاتية والأكاديمية فيما يأتي :

وُلد في طرطوس عام ١٩٠٧م في بيت متدين ، لأسرة تعمل في التجارة ، ولها صلة بعلوم الدين واللغة العربية ، تلقى دراسته في الكتّاب ، ثم في مدارس الدولة العثمانية ، ثم على الشيوخ ، ومنهم عمه الشيخ عبد الله المجذوب ، توفي والده وهو في الخامسة عشر ، فتحمل عبء الأسرة وحده ، وفي السادسة عشر تزوج مبكراً ، شارك في النضال ضد الفرنسيين ، وتعرّض للسجن والمطاردة والاضطهاد مع إخوانه المناضلين .

وفي سنة ١٩٣٦م بدأ عمله في سلك التعليم في سورية ، ثم هاجر إلى المدينة سنة ١٣٨٦هـ حيث عمل مدرساً بالجامعة الإسلامية إلى نهاية ١٤٠٣هـ حيث تقاعد وبقي بالمدينة ما شاء الله أن يبقى .

بدأ نشاطه العلمي والأدبي وهو دون العشرين من عمره ، حيث نظم قصيدة وطنية نشرتها إحدى الصحف المحلية ، ثم أتبع ذلك بإصدار رسالة يردُّ فيها على دعاة النصرانية بعنوان : " فضائح المبشرين " ثم تتابع إنتاجه العلمي والأدبي والدعوي حيث بلغت مؤلفاته قرابة الخمسين مؤلفاً ، تنطلق معظمها من الرؤية الإسلامية ، وتعكس أحداث عصره في سورية وعلى مستوى العالم الإسلامي .

وكان من أول الداعين إلى الأدب الإسلامي من خلال مقالاته وبحوثه في مجلة " حضارة الإسلام " ، التي جمعت فيما بعد في كتابه " مشكلات الجيل في ضوء الإسلام " .

بدأ حب المطالعة منذ طفولته إذ كان يستأجر الكتب ليقرأها على ضوء السراج ، وفي مهب الرياح اللاسعة ، وأهله نيام ، فقد استمرت المطالعة دأبه حتى وفاته .

والأستاذ المجذوب رجل عصامي ، مكافح ، قضى شبابه كله في الكدح بمختلف الأعمال ، للنهوض بمسؤولياته نحو إخوته وأولاده .

وقد نال الجائزة الأولى لجامعة الدول العربية سنة ١٩٤٨م على نشيده الوطني الذي نظمه ، حيث تم اختياره من بين مائة أنشودة .

وقد مضى المجذوب في طلب المزيد من العلوم والثقافة معتمداً بعد

الله ، على جهده الشخصي ومثابرته ، لا غرو ، أن أستاذي محمد المجذوب داعية وأديب وشاعر وكاتب وروائي وقاص ورحّالة ومدرس وموجِّه وناقد ومناضل سوري ، قرأ كثيراً ، وكتب كثيراً ، وقرض شعراً وناقش واستدرك وذبّ ونافح ، أثنى عليه معاصروه ، قال عنه الدكتور شوقي عبد الحليم حمادة – أستاذ الأدب والنقد بجامعة الأزهر – : " الأديب النابه ، والقاص البارع ، والشاعر العملاق ، والخطيب المفوّه ، والكاتب الموهوب ، تتميز آثاره في مختلف حقول المعرفة بأنها دائماً حديث القلب إلى القلب ، لأنها من قلم مجاهد ، يصدع بكلمة الحق ، ولا تأخذه في الله لومة لائم ، فهو لذلك مرتاح الضمير ، مطمئن القلب " .

وقال عنه الأستاذ عبد الله الطنطاوي : " الأستاذ محمد المجذوب علم من أعلام الفكر والشعر والأدب والدعوة ، يُعدُّ في الرعيل الأول من الشعراء السوريين . . . " – إلى أن قال – : " عندما أصدر ديوانه الأول " نار ونور " عام ١٩٤٩م قرأنا كلاماً منصفاً لمقدّم الديوان الشاعر بدوي الجبل ، فقد أطرى الشاعر وشعره ، ووقف عند قصيدته " نجوى قبّرة " وعدّها من الأدب العالمي لما فيها من روح إنسانية شفيفة ، وأسلوب مرهف ، وصور أدّت الغرض الإنساني الذي رمى إليه الشاعر في قصيدته البديعة هذه " .

ويقول عنه الأستاذ محمد الحسناوي في كتابه (الأدب والأدب الإسلامي) : " كان المجذوب يقرأ ما وراء السطور مثلما يقرأ الشاعر رسائل الورد ، ويترنم زقزقة العصافير وخرير الجداول " .

ويقول عنه الأستاذان الجدع وجرار في (شعراء الدعوة الإسلامية في العصر الحديث) :

" اهتم شاعرنا المجذوب بقضايا العالم الإسلامي ، فصاغها شعراً معبراً ، ومعاني سامية ، وقارئ شعره ينتقل إلى عالمه ، ويعيش أحاسيسه وينفعل به " .

ترجم له أنور الجندي في (مصابيح العصر والتراث) ومحمد علي شاهين في (أعلام الصحوة الإسلامية) ، وكتب عنه المستشار عبد الله العقيل في (من أعلام الدعوة والحركة الإسلامية المعاصرة) .

وحظي رجالُ المدينة في " مجلس السيد عبد الحميد عبّاس " و " نادي المدينة الأدبي " ، و " لقاءات رابطة الأدب الإسلامي " ، وقد تزامنت وفاته في الأسبوع الذي مات فيه الأستاذ علي الطنطاوي . وتعامت

عن خبر وفاة المجذوب وسائل الإعلام وتناقل نعيه محبوه .

كان المجذوب من جيل لم يعتمد في تحصيل ثقافته وعلمه على المدارس والمعاهد العالية ، شأن العقاد وسعيد الأفغاني وعمر يحيى والألباني ، وغيرهم كثير .

ترك المجذوب مؤلفات تربو الخمسين مؤلفاً ، سردها المترجمون له ، وهي إما كتب علمية ، أو رواية ، أو مسرحية ، أو رحلات ، أو ديوان شعر ، أو نقد ومناقشة ، أو تراجم ، ومعظم مؤلفاته مجموعة قصصية ، كما يتجلى ذلك من سرد أسمائها ، وقد طبع نادي المدينة الأدبي عدداً منها .

وإليك قائمة مؤلفاته :

فضائح المبشرين ، اليوبيل الفضي الذهبي ، المرشد في الأدب العربي (مع آخرين) ، تحفة اللبيب في ثقافة الأديب ، السبيل القريب إلى صناعة الأديب ، نصوص مختارة ، الأدب العربي (جزءان ، للسنتين الأولى والثانية للجامعة الإسلامية بالمدينة) ، أدب ونقد ، ردود ومناقشات ، أضواء على حقائق ، دروس من الوحي ، مشكلات الجيل في ضوء الإسلام (مجموعة مقالاته) ، تأملات في المرأة والمجتمع ، مشاهد من حياة الصديق ، في ظلال الإيمان ، من وحي الأحداث ، خواطر ومشاعر ، كلمات مضيئة ، كلمات من القلب ، أفكار إسلامية ، علماء ومفكرون عرفتهم (ثلاثة أجزاء) ، ذكريات لا تُنسى (من إندونيسيا والفلبين وتركيا وقبرص) ، مشاهداتي في الهند ، مع المجاهدين والمهاجرين في باكستان ، قصص من الصميم ، صور من حياتنا ، قصص من مجتمعنا ، قصص للشباب والطلاب، قصص من سورية ، قصص وعبر ، قصص لا تُنسى ، بطل إلى النار ، الآيات الثلاث ، بطل من الصعيد ، دماء وأشلاء ، قصص من تاريخنا ، الألغام المتفجرة ، اللقاء السعيد ، الكواكب الأحد عشر ، مدينة التماثيل ، قاهر الصحراء ، ثورة الحرية ، الهاربة ، فارس غرناطة ، قصتان من الماضي، من أجل الإسلام ، وحواريات أخرى .

من دواوينه :

نار ونور ، آلام وأحلام ، همسات قلب .

صرخة الدم (رواية) ، من تراث الأبوة (مسرحية) ، الإسلام في مواجهة الباطنية (نشرة باسم أبو الهيثم) .

أصحُّ البشائر في مبعث سيد الأوائل والأواخر (نشرته مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة ، عدد : محرم ، صفر ، ربيع الأول ١٤٠٢هـ) .

جولة في كتابَي (الأغاني) و (السيف اليماني) (نشرتها المجلة نفسها عدد : محرم ١٤١٠هـ) .

شعر شوقي في ميزان النقد : (المجلة نفسها ربيع الآخر ١٣٩٥هـ) .

هذا ، وقد نشرت صحيفة " الرائد " قصيدة له بعنوان : " بعد الثمانين " .

قبل أن أطوي حديثي عن المجذوب لابد من وقفة يسيرة عند كتابه " علماء ومفكرون عرفتهم " الآنف الذكر ، فهو من أجلّ مؤلفاته وأغزرها اطلاعاً ، وأشملها دراسةً ، وأوعبها إلماماً ، وأحسنها إبداعاً وأسلوباً ، لم يقتصر فيه على الترجمة بعدد من علماء عصره ومفكريه ممن عايشهم ، ولكنه شافههم من خلال صلته بالعدد الكبير منهم ، وقد تجاوز عدد هؤلاء الأعلام الستين ، شمل كثيراً من الأقطار الإسلامية ، صدرت له أربع طبعات .

أما ترتيب الفصول فقد آثر له المؤلف مراعاة حروف الأسماء وفق النسق الهجائي ، بدلاً من تاريخ الورود أو حجم المعروض .

أما المنهج الذي بنى عليه المؤلف هذه التراجم فقد كان قائماً على نماذج من الأسئلة ، يكتب المترجَم أو يملي عليه خطوطها الكبرى ، ثم عمد المؤلف صوغها وفق ترتيبها في الاستطلاع ، رابطاً كلّ جزء منها بما يتصل به من عوامل البيئة أو التربية أو الأحداث المؤثرة ، أو بها جميعاً ، فتبرز بذلك صور هذه العوامل كلها من خلال الربط التحليلي ، حتى يتبين للقارئ في يسر مجاري العمل الإسلامي في البيئات التي تتصل بحياة المترجَمين ، كما أفاد به المؤلف في مستهل كتابه .

(انتهى ملخصاً من المكتبة الشاملة و " إتمام الأعلام " ذيل " الأعلام " للزركلي ، وما ألّف في تراجم الشعراء والأدباء المعاصرين لعديد من الكتاب والباحثين) .

الشيخ عبد الحليم البخاري : صفحات مشرقة من سيرته

الأستاذ محمود مجيب*

الشيخ عبد الحليم البخاري – أو بخاري بنغلاديش في أواخر القرن العشرين الميلادي وما بعده ، كما يصف بذلك أحد أبرز أعلام بنغلاديش ، من عباقرة المحدثين الفضلاء ، ومن صناع الرجال البارعين النبلاء ؛ تربى على يديه أطر طيبة من الجهابذة والدعاة ، وكان – رحمه الله – باحثاً إسلامياً تميز بإصابة الرأي وحصافة الفكر ، فشغل مناصب إدارية ودعوية شتى في مجال الدعوة والفكر والتعليم ، وترأس الجامعة الإسلامية فتية – هي من أقدم وأشهر الجامعات الإسلامية في بنغلاديش – ، عبر عقد كامل ، وتولى منصب الأمين العام لهيئة اتحاد المدارس الأهلية بنغلاديش – هيئة تعليمية كبرى في بنغلاديش – ، أكثر من ثلاثة عقود .

اسمه الكامل : هو محمد عبد الحليم " البخاري نسبة إلى " بخارى " الواقعة في ما وراء النهر قديماً وفي أوزبكستان حديثاً ، حيث ينتمي إليها الشيخ نسباً .

مولده ونشأته :

وُلد – رحمه الله – في شهر يناير يوم الأربعاء سنة ١٩٤٥ الميلادية ، الموافقة سنة ١٣٦٣ الهجرية تقريباً في مقر الشرطة " راجغهاتا " من شبه المحافظة " لوهاغارا " بمنطقة شيتاغونغ في بيت مسلم ديني شريف المحاتد وكريم الأعراق ، متميز من بين البيوتات الأخريات. فقد تيسر للشيخ أن يتمتع في صباه ببيئة علنية ودينية فذة ، قد شجعته دوماً في مسيرة حياته على الصمود في الصراط المستقيم ، فكانت أسرته هي المدرسة الأولى بالنسبة له

دراسته :

ترعرع الشيخ البخاري في أسرة علمية ، فانقضى صِباه في جو قد خيم عليه العلم والعمل ، وعوده على التسبيح والتهليل ، فأخذ ما محا عنه الأمية من الوالدين الكريمين في البيت ، حتى أنبته الله نباتاً حسناً ، فلما بلغ خمس أو ست سنين من عمره التحق بـ " المدرسة الحسينية عزيز العلوم ، راجغهاتا ، لوهاغارا " ، وتلقى فيها مبادئ الكتابة والحساب والعلوم العربية والدينية ، ودرس هنا من الابتدائية ، ثم اتجه الشيخ إلى إحدى أبرز وأقدم الجامعات الإسلامية ببنغلاديش " الجامعة الإسلامية ،

* أستاذ بجامعة دار المعارف الإسلامية شيتاغونغ ، بنغلاديش .

فتية " ، والتحق بها في الصف الثالث من الثانوية ، فكان التحاقه بها فرصة غالية لإرواء غليله وتبليل ظمأه الذي لا يكاد ينتهي نحو العلوم النبوية ، وقد حصل له التفوق في جميع الاختبارات ، وفاق على أقرانه ، وقرأ فيها كتب الأحاديث النبوية على شيوخها وأساتذتها الأجلاء الذين لهم أثر جلي في تكوينه العلمي والعملي ، فلم ينس الشيخ الرحيل – رحمه الله – انتهاز هذه الفرصة ، وهنا تفتحت قريحته ، وبرز نبوغه ، وتجلت مواهبه ، وأخذ من أساتذته علوم القرآن والحديث والفقه والعقيدة والأدب والفلسفة حتى بلغ الصف الأخير " دورة الحديث الشريف " سنة ١٣٨٥ الهجرية الموافقة ١٩٦٤ الميلادية ، وفي هذا الصف بلغ جهدُه ومثابرته الذي تميّز به غايتَه ، واستنفد قصارى جهده ، فلم تذهب جهوده الجبارة عبثاً ، فقد فاز بتقدير الممتاز الأول في الاختبار النهائي ، وكانت النتيجة – بإذن الله – داعية للاستعجاب والاستغراب ؛ حيث بلغت مجموعة درجاته المحصلة " ٦٠٣ " وكانت مجموعة الدرجات الكاملة الموزعة " ٦٠٠ " .

بعد أن أتم " دورة الحديث الشريف " التحق بقسم اللغة البنغالية التي قد أنشأها في تلك السنة الرئيس السابق للجامعة الحاج محمد يونس – رحمه الله – ، ولم ينطفئ عطشه الجامح للعلم ، بل ازداد ، فازداد ؛ وشارك في الامتحانات الحكومية : عالم ، وفاضل . وقد حاز المرتبة الأولى في الامتحان الحكومي " فاضل " ، ولم تتوقف مسيرته العلمية إلى هنا ، فقد التحق فيما بعد بدورة المعالجة المثلية أو الهميوباثية عن طريق البريد ، وشارك في الامتحان تحت رعاية الجامعة الهميوباثية بلاهور (Homeopathic Medical College, Lahore Dawn)، فكان الشيخ من أولئك الأفذاذ الذين كانوا أماثل نيرة ونماذج حية للربط بين الأصالة والمعاصرة وبين الجديد والقديم .

خدماته وحياته التدريسية :

بعد أن أكمل الشيخ دراسته الأكاديمية ، تولى التدريس في مدرسة " دار العلوم عالية ، تانغايل " سنة ١٩٦٧م ، ولما كان ذاهباً تلقاء " تنغايل " كتب العلامة المرشد ، الخطيب الأعظم صديق أحمد – رحمه الله – – وهو من طليعة العلماء المحدثين ، والواعظين المؤثرين في زمنه – في رسالة إلى مديرها عن الشيخ الفقيد – رحمه الله – : " إن مثل هذه الشخصية نادر وجودها ؛ قد يوجد واحد من بين الآلاف المؤلفة " .

ودرّس هنا بعض كتب الحديث الشريف ، ولما كانت سنة ١٩٦٨م ، رجع إلى شيتاغونغ ، وباشر التدريس في مدرسة " محمود العلوم عالية ، ساتكانيا " ، ومن دوره العملاق فيها أنه واثنين من المدرسين المبجلين بها

أنشأوا " دورة الحديث الشريف " ، وتولى هو تدريس كتاب " سنن أبي داوود " ، وامتدت حياته التدريسية بها إلى أربع سنين حيث كانت سنة ١٩٧٢م ، فرجع إلى تنغايل مجدداً ، وتولى التدريس فيها مستأنفاً ، وقد درّس فيها بعض دعائم كتب الحديث والتفسير ، حتى تشرف بمنصب " شيخ الحديث " أخيراً لمدة سنتين ، ثم انتدب للتدريس في " الجامعة الإسلامية فتية " التي تخرج فيها سنة ١٤٠٢ الهجرية الموافقة سنة ١٩٨٢ الميلادية ، وقد فوّض إليه – لأول وهلة – تدريس " شرح معاني الآثار " للإمام الطحاوي و " مشكاة المصابيح " ، وكتاب البيوع من " الهداية " للمرغيناني في الفقه ، ولما اعترض بعض الأساتذة على تكليفه بتدريس هذه الكتب الجليلة ، ابتدر رئيس الجامعة حينئذ قائلاً : " بما أنه من الأساتذة المستجدين ، فما كلفته بتدريس الجامع الصحيح للبخاري ! وإلا . . . " ، وبعد سنوات تولى تدريس " سنن الترمذي " ، وقد امتد تدريسه لهذا الكتاب إلى خمس وعشرين سنة في تاريخ الجامعة ، وهذا هو الكتاب الذي اشتهر بتدريسه الشيخ في الأوساط العلمية ، وذاعت سمعة تدريسه في " باكستان " و " الهند " أيضاً ، ومن أهم مميزات الشيخ في تدريس هذا الكتاب أنه كان ينمق دروسه على أحسن ما يرام ، ويشرح ما أُجْمِل ، ويرفع الغموض ، فكان يستفيد من دروسه الغبي والذكي على حد سواء ، ومما زاد تدريسه سمعةً وتفوقاً أنه كان يلقي دروسه بلسان منطلق كأنه شريط أو يقرأ من كتاب أمامَه عياناً ، حتى لم يكن لسانه يكاد يتعتع أو يصيبه اللكن لمرة .

تمادت سمعته حتى لُقّب بـ " ترجمان الترمذي " ، ولما كانت سنة ٢٠١١م ، فوّضت إليه اللجنة العلمية تدريس الجزء الأول من " الجامع الصحيح للبخاري " ، من حينئذ إلى أنْ وافته المنية أتقن تدريسه ، فحاز تدريسه لهذا الكتاب – كعادته – قبولاً عجيباً .

إضافة إلى موهبته الأكاديمية فقد أودع الله فيه موهباً شاحذاً في القيام بالشؤون الإدارية ؛ فقد عمل كعميد شؤون التعليم لمدة أربع سنوات في الجامعة الإسلامية بفتيّة ، كما كان نائباً لمديرها من سنة ٢٠٠٣م إلى سنة ٢٠٠٨م ، حتى عُيِّنَ مديراً لها سنة ٢٠٠٨م ، ومن هذه السنة إلى لحظة وفاته قام بمسؤوليته بإتقان وإحسان حارساً لأمانة السلف ، حامياً لمجدهم ، صامداً أمام التحديات المختلفة .

أعماله وأشغاله الأخرى :

١. كان مستشاراً لمنظمة " حفاظت إسلام ، بنغلاديش " ؛
٢. كان عضواً خاصاً لـ " الهيئة العليا للمدارس القومية " ؛

٣. الرئاسة لِلَجنة مصرف " شاه جلال إسلامي بنك " ؛
٤. رئاسة " مؤسسة المؤتمر العالمي " ؛
٥. رئاسة " منظمة تحفيظ القرآن ، بنغلاديش " ؛
٦. المشرف الأعلى لمجلة " التوحيد " بعد أن كان رئيس التحرير لها ؛
٧. رئاسة " منظمة المسلمين الجدد " ؛
٨. رئاسة " هيئة الإغاثة الإسلامية " ؛

تأليفاته :

١. تسهيل الترمذي في شرح الجامع للإمام الترمذي (أربعة مجلدات)
٢. تسهيل الطحاوي في شرح " شرح معاني الآثار " للإمام الطحاوي
٣. تسهيل الأصول في علم أصول الفقه للمبتدئين
٤. تسهيل البخاري في شرح صحيح البخاري (غير مطبوع) (مخطوط في ثمانية مجلدات)
٥. رسالة عن القاديانية
٦. ترجمة سورة الإسراء من تفسير معارف القرآن (غير مطبوع)
٧. علم الحديث والمحدثون في بنغلاديش (رسالة غير مطبوعة)

وفاته والصلاة عليه :

توفي الشيخ في الحادي والعشرين من شهر يونيو سنة ٢٠٢٢م في مستشفى حيث كان تحت العلاج ، وقد تم أداء الصلاة عليه في ساحة جامعته التي عمل لها وفيها ومعها بإمامة الشيخ العلامة المفتي الحافظ أحمد الله – حفظه الله – ، وقد شهد جنازته جم هائل من الناس ، قيل : " هذه من أكبر جنازة مرت بتاريخ " الجامعة الإسلامية فتية " .

المصادر والمراجع :

١. بعض اللقاءات الشخصية والمسامرات الأسرية مع الشيخ نفسه .
٢. تسهيل الطحاوي للشيخ عبد الحليم البخاري ، ترجم له فيه إملاء عليه نجله الأستاذ أحمد الغني البخاري – حفظه الله – ، أستاذ بالجامعة الإسلامية بفتية .
٣. تسهيل الترمذي للشيخ عبد الحليم البخاري ، ترجم له فيه أخوه الأستاذ عبد المتين البخاري .
٤. اليواقيت والجواهر في تراجم نبلاء بنغال والأكابر ، للمحدث الفقيه محمد حفظ الرحمن الكملائي .
٥. المجلة التذكارية " العزيز " الصادرة من قبل طلبة دورة الحديث بالجامعة الإسلامية بفتية .
٦. المجلة التذكارية " المسافر " الصادرة من قبل طلبة دورة الحديث بالجامعة الإسلامية بفتية .

ميكافيلية الغرب وإسرائيل في الميزان

محمد فرمان الندوي

امتدت سلسلة الحروب التي بدأت الولايات المتحدة – إسرائيل قبل شهور ، ولا تزال تشتعل نارها حيناً لآخر بعد هدنة واتفاقية تستمر بين الطرفين ، وبدأت مرحلة هذه الحرب الطويلة منذ ١٣/ يونيو ٢٠٢٥م ، وجرت إلى اثني عشر يوماً ، ثم توقفت في ٢٤/ يونيو ٢٠٢٥م ، ثم بدأت المرحلة الثانية لهذه الحرب في ٢٨/ فبراير ٢٠٢٦م ، ولا تكاد تنتهي ، إذا أوقفت أمريكا إطلاق النار فلا توقف إسرائيل ، وهي تخرق المواثيق ، ولا ترضى بأن تقف الحرب ، ويعيش مواطنو الشرق الأوسط بهدوء وطمأنينة ، هذا ما يُرى من دراسة الأنباء الآتية عبر مواقع التواصل الاجتماعي ، ومن خلال الشبكات الأخرى الحديثة .

لكن الواقع الذي يتلخص من تحليل الأوضاع المعاصرة أن القوى الباطلة سواء كانت الولايات المتحدة أو إسرائيل لا تحب أن تتوقف الحرب ، لأن الحرب هي غذاؤها وروحها ، وقد شربت على ناجذ الحرب وأكلت ، والحرب هي الوسيلة الوحيدة للحفاظ على مكانتها وسيادتها ، وقد أبدى كثير من المحللين أن اقتصاد التنمية للولايات المتحدة ينحصر على بيع الأسلحة ، فلا ينتعش هذا الاقتصاد إلا في الحروب ، فتخوض بدون مبرر في الحروب ، فتربح الشركات الأمريكية المنتجة للسلاح ، وتنال منافع باهظةً من الأموال الطائلة ، فالحروب هي الحياة لها كما قال أحد الأدباء ، لولا الحروب لمرضت الولايات وماتت ودفنت ، وقد سماها بعض الكتاب بالاحترابيين .

الولايات المتحدة لها سلسلة طويلة من السيطرة والهيمنة والاستيلاء على الدول ، ولا تزال تغذي النزاعات الداخلية بين الدول المجاورة ، ثم تكون بينهما حكماً لتسوية الخلافات ، فأحياناً يمدح هذا ، وأحياناً

يمدح ذاك ، وتارةً يبكي دموع التمساح على الخسارات والويلات التي تجرُّ الحرب إلى الدول ، لكنها في الواقع ترعى مصالحها القومية ، وتؤمن بنظرية الفيلسوف ميكافيلي (Niccolo Machiavelli) أن الغاية تبرر الوسيلة ، ومكيافيلي كاتب إيطالي ، ولد عام ١٤٦٩م في مدينة فلورنسا (Florence) ، وتوفي سنة ١٥٢٧م ، واشتهر بكتابه الأمير (The Prince) الذي تناول فيه شئون الحكم والسياسة وطرق المحافظة على الدول والسلطات ، وقد نسبت إليه النظرة المكافيلية وهي اتجاه سياسي يغلب السياسة والواقعية على المثل الخلقية ، فإنه كان يقول : إذا كان أمامك غاية فاختر لإنجازها كل طريق مشروع وغير مشروع ، سواء كان فيه قتل الأبرياء ، وهدم البيوت والمنازل وإحراق المنتوجات الزراعية ، ولا قيمة في هذه النظرية للمثل العليا ، ولا للاعتبارات الخلقية ، إن هذا الاتجاه المعاكس للإنسانية قد اختارتها الولايات المتحدة وربيبتها إسرائيل ، فلا ترقب فيها إلاً ولا ذمةً ، ولا تراعي عهداً ولا ميثاقاً ، بل تمتص دماء الأبرياء من الرجال والنساء والولدان بكل وقاحة .

إسرائيل شيمتها الغدر والخيانة :

إن بني إسرائيل كانوا أشهر الأمم في نقض العهود والمواثيق ، وقد تجلت خيانتهم وغدرهم منذ عهد النبوة إلى يومنا هذا ، وإن غزوة بني قريظة لم تكن إلا صفحةً من صفحات الغدر اليهودي ، التي لن تنتهي حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وقد ذكر الله شيمتهم هذه في القرآن الكريم قائلاً : (أَوَكُلَّمَا عَاهَدُواْ عَهْداً نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يُؤْمِنُونَ) [البقرة : ١٠٠] ، وأما غدر إسرائيل وخيانتها منذ طوفان الأقصى فقد أبرمت الاتفاقيات مع حماس عشرات المرات ، ووافقت على عدم الإغارة والهجوم المباغت ، وصيانة النفوس والأرواح ، لكن شهد العالم بأم عينيه أن إسرائيل نقضت هذه الاتفاقيات بين عشية وضحاها ، وذرت الرماد في عيون الإنسانية ، فأصبحت تشكو وتئن بصيحات وصرخات ، لكن

ليس لها ملب ولا مجيب .

ومن أبرز الاتقاقيات في التاريخ الحديث اتفاقية أوسلو ، هذه الاتفاقية كانت اتفاق سلام بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية في مدينة واشنطن الأمريكية في ١٣/ سبتمبر ١٩٩٣م ، وسميت الاتفاقية نسبةً إلى العاصمة النرويجية أوسلو التي تمت فيها هذه المحادثات ، لكن تنصل الاحتلال منها من دون تفكير ولا روية ، وقد رصد المكتب الإعلامي الحكومي أكثر من ٣٣٣٨ خرقاً إسرائيلياً عبر سنوات في قطاع غزة ، هذه الإحصائية تكشف عن نوايا إسرائيل في هذه المنطقة ، فإنها لا تعلم إلا لغة الحرب والمحاربة ، والقتل والتشريد ، فأنى لها مراعاة العهود والمواثيق ؟ وقد تبنت فكرة مكيافيل مائةً في المائة ، ولا تزال تنفذها نابذة جميع القوانين والدساتير العالمية وراءها ظهرياً .

مدى صلة الغرب بالكتب السماوية :

إذا كان انتماء الغرب إلى الكتب المقدسة التي أنزلت على أنبيائه ، وهو يزعم أنه من قرائها ، وناشري علومها ومعارفها ، فهل يوجد في أي كتاب سماوي أنه يجوز الخداع والإضرار بالناس ، وقتل الأبرياء وسفك دمائهم من دون جريرة ، وإجلاء المواطنين والسكان الأصلاء من بيوتهم ، واحتكار ممتلكاتهم وعقاراتهم بكل وقاحة ، لن يسمح بذلك العقل الإنساني فضلاً عن الكتب السماوية التي نزلت لإقامة العدل والقسط على هذه الكوكبة الأرضية ، فإذا كان عمل الغرب معاكساً لكتبه الساوية فأنى يكون من أتباعه ومقلديه ، وقد جرت العادة أن يومي السبت والأحد يحتفل بهما كيومين دينيين رسميين على المستوى العالمي ، ويحضر المتدنيون لدى الرموز الدينية ، والحاخامات والكرادلة ، ويعترفون بما صدر منهم من خطأ ، ثم يتعاهدون أنهم لا يخرقون دساتير الكتب السماوية ، ويكونون أتباعاً لدياناتهم طول الحياة ، لكن إذا خرجوا من صوامعهم وبيعهم وكنائسهم ورأوا ما يضر بسيادتهم وقيادتهم ، ويكون خطراً على حكوماتهم ونظم حياتهم انقلبوا ظهراً لبطن ، فلا دين ، ولا خلق ، ولا مثل

عليا ، ولا معاهدة ولا اتفاقية ، كأنهم برَّروا لمصالحهم ومنافعهم كل ما كان مناسباً لأهوائهم وغرائزهم النفسية ، وأباحوا ذبح الناس وزجهم في السجون والمعتقلات ، واستراحوا من إيذائهم وإلقائهم في أنواع من التعذيبات، وكل ذلك نتيجة فكرة مكيافيل : الغاية تبرر الوسيلة .

طبيعة الإسلام السمحة :

إن الإسلام دين الإنسانية جمعاء ، إنه لا يسمح الإنسان بكل ما تملي عليه إرادته وتهواه نفسه ، بل يجعل له حدوداً ويفرض له قيوداً ، حتى لا تكون انتهاكات وخروقات للقوانين ، خاض رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم الحروب والمعارك ، ولكنه لم يخض فيها عشوائياً ، بل دخلها بالعدل والقسط ، فلم يتعرض لهجمات الصحابة رضي الله عنهم إلا من كان يتربص بهم الدوائر ، وينوي قتلهم وإهلاكهم ، وكان الكفار والمشركون في غزوة أحد قد قطعوا الأنوف وجدعوا الأذان ، وشوهوا صورة القتلى ، وبقروا بطن حمزة بن عبد المطلب وأخرجوا كبده ، وحاولت هند بنت عتبة أن تلوكها وتأكلها ، لكن النبي صلى الله عليه وسلم نهاهم عن المثلة وعن تشويه الصور ، وقد كره النبي صلى الله عليه وسلم أن تسمى الأولاد بحرب ومُرةً نظراً إلى معانيها القبيحة ، فقد تجلت أخلاقيات الإسلام في الحرب زمن العهد النبوي بحيث لم يقتل من كلا الطرفين إلا حوالي ألف من الناس ، هذا دليل على أن الإسلام لم يبرر لأتباعه أن يفعلوا ما يشاءون ، بل أمرهم بأن يضعوا نصب أعينهم في حياتهم الفردية والجماعية الشريعة الإلهية والقوانين العالمية .

فمواصلة الحروب والانتهاكات الإنسانية ليست إلا إرهاباً وتخويفاً للناس ، وكل من ارتكب أمثال هذه الأفعال الشنيعة والأعمال القبيحة اعتبر مجرماً في ضوء العقل والقانون الدول ، فلا يسمح أبداً بالولايات المتحدة وإسرائيل أن تتبع حذو القذة بالقذة نظرة مكيافيلي الإيطالي ، الذي تنم قولته عن إهلاك الحرث والنسل ، وإبادة البشرية .

بأقلام الباحثين

الذكاء الاصطناعي سلاح ذو حدين

الأخ عبد العلي الحسني الندوي*

إن الذكاء الاصطناعي كسائر المنصات الرقمية الأخرى سيفٌ ذو حدين ؛ إذا أحسن أحدٌ استعماله انتفع به انتفاعاً كثيراً ، وإذا أساء استخدامه أو استغله استغلالاً سيئاً ، لا يخسر أحدٌ أكثر مما يخسر نفسه . وكذلك حُسن استعماله يساعد في تعزيز الممارسات العلمية والدعوية وتوسيع أثرها وانتشارها ، وبإضفاء الطابع الإسلامي عليه واستخدامه المرن المطاوع له ، يستطيع العلماء والدعاة أن يقدموا خدماتهم من أقصى الدنيا إلى أقصاها ، وأن يبثّوا في الشباب المولعين بالحضارة الغربية المادية البحتة الروح الإسلامية الأصيلة من جديد ، بينما إن استُعمل بشكل خاطئ ومسيء فقد يدفع إلى هاوية الضلال والهلاك .

التحديات المعاصرة ومسؤولية الأمة :

فمن رجاحة الرأي وبعد النظر استلفات الانتباه إلى الأوضاع الراهنة الخطيرة والتحديات المستحدثة الصعبة التي يجتاز بها المسلم في هذا الزمن ، الذي تبلورت فيه التقنية الحديثة وامتدت أطنابها واحتوت على صغير وكبير وفقير وغني إلى حد كبير .

ومن المسؤولية التي تقع على عاتقنا إنما هو التصدي لهذه الجبهة المهمة الدقيقة ، والاستعداد لمكافحة المفاسد والسلبيات التي تتسرب إلى هذه الوسائل وتشوشها وتجعلها موضع الحظر الشديد ، وبذل قدر وافر من المجهودات المخلصة في إحباط العوامل الخارجية الموجهة لعداء الإسلام ، والذبّ عن ثغور هذه الوسائل ، بل محاولة أسلمتها بتعبير أدق .

الهجمة الفكرية الغربية وتأثيرها على المثقفين :

ومن واجب علماء الأمة ودعاتها مع ذلك أن يطّلعوا على الخطط الدسيسة للحضارة الغربية التي لا تدخر جهداً في بسط سيطرتها عبر تقدمها الهائل في التكنولوجيا فائقة الحداثة ، على هوية العالم الإسلامي الثقافية ، وفرض هيمنتها عبر هجمتها الفكرية الزاحفة وغزوها الثقافي المخطط الفتاك على كل ما يمت بصلة إلى الإسلام والمسلمين ، والإمساك بزمام أذهان المسلمين بصفة عامة والمثقفين منهم بصفة خاصة

* الباحث في مركز الإمام أبي الحسن علي الحسني الندوي براي بريلي الهند .

حيث لقد وضعت هذه الحضارة المخربة كثيراً من أولئك الذين ولدوا على الفطرة السليمة على منعطف خطير من الردة الفكرية والثقافية ، ومن ثم الانسلاخ التام من الدين – حفظنا الله وجميع المسلمين – وتعزم الحضارة في هدفها التآمرية – في الواقع – على هدم بناء المنظومة الإسلامية عن آخرها .

ضرورة حماية الهوية الإسلامية :

ومن هنا من المتحتم على الجميع أن يفكروا في تخير طرق وأساليب تحمي روح الاعتزاز بالإيمان والتوكل في أحرار الأمة الإسلامية ، وأن يحاولوا لصيانة الأجيال الناشئة ، وإخضاع الأسباب والوسائل للقيم الإسلامية وتوجيهها وفق المنهج الإسلامي السليم ، بدل أن ينفضوا أيديهم منها ويتركوا الأجيال القادمة تقع فريسة لحبالتها . وينبغي لنا أن نسعى للتغلب عليها وتسخيرها لخدمة الدين من خلال تحميل المواد الإسلامية الوفيرة فيها ، بدل أن نقف أمامها موقف العاجز والمشلول ، وأن نعدّ برامج كثيرة على جميع تلك المواقع التي يرتوي فيها الظمآن ويتشبع فيها الجوعان ويهتدي بها الذين يتيهون ويعمهون في ضلال مبين .

الذكاء الاصطناعي وتطوره العلمي :

إن الذكاء الاصطناعي أصبح في عصرنا هذا من أهم فروع العلوم الآلية ، وإنه جدير بأن يُعتبر من أعجب المخترعات وأدقها وأشملها في العقود الأخيرة ، وإنه في مساره التطوري التاريخي الممتد على قرون طويلة ليتبوأ ذروة السنام .

الجذور التاريخية للعلوم الحديثة :

وإذا ألقينا نظرة خاطفة على هذا السفر الطويل ، وجدنا أن أول عالم طبيعي يبرز من سجلات التاريخ ويُذكر اسمه في هذا الفن هو العالم المحقق بديع الزمان أبو العز بن إسماعيل بن الرزاز الجزري ، المعروف بالجزري (١١٣٦ – ١٢٠٦) ، وهو مسلم عربي يُعد من أعظم المهندسين والميكانيكيين والمخترعين في التاريخ ، ويُنسب إليه اختراع ساعة الفيل ، ويُسمى أبو علم الروبوتات والهندسة الحديثة .

ثم جاء في نهاية الخمسينات من القرن المنصرم الدكتور جون مكارثي (John McCarthy) (1927–2011) ليقدّم نظرية الذكاء الاصطناعي الحديث ، القائم على إمكان برمجة الآلات الجامدة لمحاكاة الذكاء البشري بناءً على الخوارزمية (Algorithm) ، وهي إجراء رياضي اخترعه محمد بن موسى الخوارزمي ، وهو من أشهر علماء الرياضيات والفلك والجغرافيا على مر التاريخ .

طبيعة الذكاء الاصطناعي وتطوره :

وأساساً على هذا ، يقوم الذكاء الاصطناعي على منظومة من القواعد والتعليمات الدقيقة التي تمكّن الآلات الحديثة من تنفيذ عمليات تعلّم ذاتي متكيّف ، عبر خوارزميات تتطور مع البيانات وتُحسّن أداءها تدريجياً في زمننا الحاضر . ومن هذا المنطلق يمكن القول إن الدكتور جون مكارثي رغم كونه أول من قدّم نظرية الذكاء الاصطناعي الحديث ، فإن الفضل في هذا المجال في أصوله الأولى يعود إلى العلماء المسلمين في الرياضيات الذين وضعوا اللبنة الأساسية وأرسوا مبادئه في أول الأمر .

التوظيف السلبي للذكاء الاصطناعي وخطورته :

من البرامج التي تتصل بالذكاء الاصطناعي مباشرةً ما يُستخدم من قبل المحرّضين الإعلاميين من أصحاب التنصيرية والإباحية ، الذين يبذلون قصارى جهودهم في نشر الشائعات الكاذبة والأقاويل الداحضة حول أحكام الشريعة الإسلامية ، ويجتهدون بكل طاقتهم في غرس بذور الشكوك والشبهات . وهذه المؤامرات ربما تنال من أهمية القيم الإسلامية النبيلة وتقللها في أذهان المثقفين الذين يعتمدون على هذه المواقع اعتماداً كبيراً ، رغم تعليم الإسلام أن يُؤخذ الدين من مصادر موثوقة .

ولكن على كل حال ، مهما اشتد الباطل ، فلن يستطيع أن يخدش الإسلام ولو بشعرة ، غير أن الذين يدّعون الإسلام ولا يعتنون به حق الاعتناء ، بل يستخفون بمبادئه وقيمه وأحكامه ، ويجتاحون أسرها بما تكسب أيديهم ، فلا بقاء لهم ، وما يخشى منه فيهم هو الإعراض عن الدين الذي يستلزم الاستبدال بقوم آخرين بنص قرآني حكيم : (وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُونُوَاْ أَمْثَالَكُم) .

ثبات الإسلام وواجب المسلمين :

وأما الإسلام فهو الدين الوحيد الذي لا يعتريه تغيير ولا تطوير ، والكتاب الإلهي الأخير هو الكتاب الوحيد الذي وعد الله بحفظه وصيانته . ولكننا نحن – معشر المسلمين – يجب علينا أن نسلك طريق العلماء والدعاة ، ونختار الأساليب والأنشطة التي تتناسب مع سمات العصر واتجاهاته .

وبذلك ، نقدر على توسيع دائرة الدعوة خارج الحدود الدولية ، رغم الظروف السياسية الصعبة أو الأزمات الاقتصادية والاجتماعية التي قد تتعلق بالداعية ذاته أو بالمدعو أيضاً . وهنا تكون التقنيات الحديثة بوجه عام ، والذكاء الاصطناعي بوجه خاص ، البديل الأمثل والطريق الأسهل والأنفع .

إرث الشيخ كوكن والدكتور الأعظمي : دراسة موضوعية

د سميراء محمد أجمل*

الأستاذ الحافظ محمد يوسف كوكن العمري ، ١٩١٦ – ١٩٩٠م :

الشيخ محمد يوسف هو ابن عائلة علمية مرموقة . وُلد في ٤ نوفمبر ١٩١٦م في مينمبور (إحدى مناطق جنوب أركوت) . تلقى تعليمه العالي في اللغتين العربية والفارسية في جامعة دار السلام عمر آباد (الكلية العربية) ، وحصل على لقب مولوي . ثم التحق بالكلية الإسلامية الحكومية في مدراس لمتابعة دراساته العليا في اللغة الإنجليزية ، وتخرج فيها . حصل على درجتي الماجستير في الآداب والعلوم من جامعة مدراس ، بعد اجتيازه امتحاني أفضل العلماء ومنشي الفاضل . وقد مُنح هاتين الشهادتين أيضاً بين عامي ١٩٧٥م و ١٩٤٠م . خلال الفترة نفسها ، عمل في أكاديمية شبلي في أعظم كره ، بولاية أوتار براديش . أمضى عاماً في جامعة القاهرة لمتابعة دراساته العليا . في عام ١٩٦٢م سافر إلى الحجاز ، وفي عام ١٩١٩م زار شيراز وطهران ، واستفاد من خبرات مثقفيهما . قبل ذلك ، سافر إلى دمشق وبيروت وحلب بين عامي ١٩٥٧م و ١٩٥٥م .

أصبح أستاذاً للتاريخ الإسلامي في كلية الفنون الحكومية في مدراس ، وتدرج في المناصب حتى أصبح رئيساً لقسم اللغة العربية والفارسية والأردية في جامعة مدراس . أسس داراً للتصنيف في مدراس . لم يترك له تفانيه في البحث في المخطوطات القديمة والوثائق المكتوبة بخط اليد وأقدم الكتب العربية والفارسية والأردية لحظة راحة طوال حياته . اندهش العلماء الآخرون لرؤية أكوام المخطوطات والكتب من حوله . وكان شغوفاً بتدوين النصوص العربية والفارسية وشذرات التاريخ المنقوشة على كل معلم أثري ، كالمساجد والمآذن والحصون والأضرحة والقصور الملكية والأديرة . على الرغم من كراهيته للتصوف ، لم ترد في مؤلفاته العربية والفارسية والأردية والإنجليزية جملة واحدة تنتقص من شأن علماء الصوفية وشعرائها وكتابها ، وخاصة الأولياء . بسبب معارضته لمعتقدات الإمام ابن عربي وتعلقه الشديد بمذهب الإمام ابن تيمية ، ومن الحقائق التاريخية أنه لولا كتابته ونشره تاريخاً مفصلاً باللغتين العربية والفارسية لولاية كارناتاكا باللغة الإنجليزية ، وذكره للعديد من العلماء والكتاب البارزين من عائلة القاضي بدر الدولة ، لما كان هذا العمل البحثي الضخم ممكناً لأي شخص آخر في تاميلنادو . لقد أحيا ذكرى مثقفي ولاية كارناتاكا العريقين ، ووفر للباحثين فرصة الاستفادة من أبحاثهم الأدبية . ويكفي القول إنه لولا أبحاثه ، لكان التاريخ الديني والعلمي والأدبي لتاميلنادو ، قديماً وحديثاً ، غامضاً .

* جامعة عليكره الإسلامية – عليكره .

بعد تقاعده من جامعة مدراس ، قدم خدمات جليلةً في كلية جاميا العربية في مدراس . وأخيراً ، وافته المنية يوم السبت ٢ سبتمبر ١٩٩٠م في مدراس .

ألف محمد يوسف كوكن عمري الكتب التالية باللغات العربية والفارسية والأردية والإنجليزية ، بعضها منشور وبعضها غير منشور .

١. شواكل البحور في بيان حياة النور : (جُمعت فيه مؤلفات الملا جلال الدين الدواني) ونُشرت هذه المخطوطة من قِبل المكتبة الحكومية والوطنية للمخطوطات في مدراس عام ١٩٥٤م .
٢. العرب وآدابهم (الجزء الأول ١٢٠ صفحة) : (الجزء الثاني يلقي الضوء على تاريخ العرب وآدابهم عام ٧٥٠ الميلادي) .
٣. القراءات العربية (الجزء الأول ١٧٦ صفحة) : أدرجت في مناهج كلية فيكتوريا ، فيكتوريا .
٤. القراءات المفيدة (الجزء الأول ٧٢ صفحة) : ولأهمية الجزء الخامس للكتاب ، أدرجته جامعة مدراس في مناهج البكالوريوس في العلوم والآداب وامتحان القبول في اللغة العربية . يبلغ عدد صفحاته ٧٨١ صفحة .
٥. مقامات (٤٠ صفحة) : تم تحرير مقامات الشيخ باقر آغا فيلوري مع إضافة شروح ومقدمة قيّمة .
٦. سيرة الأمير خسرو ومراجعة لأعماله : إجمالي الصفحات ٦٦ صفحة .

وقد ألف بالفارسية :

١. كلية أبجدي (الجزء الرابع) : ملك الشعراء (كرناتك) مير إسماعيل خان أبجدي مدراسي ، المتوفى سنة ١٢٠٣هـ/١٧٨٨م ، ترجم المثنوي الخاقاني ، شرح تحفة العراقيين إلى الفارسية . نُشر هذا الكتاب من قِبل محمد يوسف مع مقدمة بسيطة وحواش . ويتضمن هذا القسم أيضاً مختصر المثنوي الأردي " حقيقت نامه " (إجمالي الصفحات ٤١٢) .
٢. أصل الأصول في بيان مطابقة الكشف بالمعقول والمنقول : هو كتاب في التصوف من تأليف السيد شاه عبد القادر مهربان فخري المدراسي ، الذي توفي عام ١٧٨٩هـ/١٢٠٤م . وقد نشره محمد يوسف كوكن بمقدمة مطولة وحواشٍ في ٧٦٢ صفحة .

وقد ألف بالعربية :

١. الإمام ابن تيمية (٦٧٢ صفحة) : رواية صحيحة ومفصلة للعلامة تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية الحراني المتوفى سنة ١٣٢٨م/٧٢٨هـ .
٢. عائلة القاضي بدر الدولة ، المجلد الأول (٥٣٨ صفحة) : نُشر عام ١٣٨٢هـ ، ١٩٦٣م . يضم هذا الكتاب مجموعة من الآراء ، لإمام العلماء محمد صبغة الله ، المعروف بالقاضي بدر الدولة ، ومعظم علماء وكتاب عائلته المشهورين ، بالإضافة إلى إسهاماتهم العلمية والأدبية والدينية والإجتماعية ، فضلاً عن تاريخ وأدب مدراس . ويُعد هذا الكتاب مرجعاً هاماً في هذا المجال .
٣. أمية بن أبي الصلت : نبذة مختصرة عن الشاعر العربي الشهير في الجاهلية . نُشر الجزء الأول منه باللغة العربية . عدد صفحاته ٤٠ صفحة .

٤. نبذة مختصرة عن مولانا عبد العلي بحر العلوم ، ٥٨ صفحة .

الأستاذ الدكتور ضياء الرحمن الأعظمي ، (١٩٤٣ – ٢٠٢٠م) :

وُلد الدكتور ضياء الرحمن الأعظمي بانك لال في عائلة هندوسية في عام ١٩٤٣م في أعظم كره . في السنة الخامسة عشرة ، اعتنق الإسلام عام ١٩٦٠م . تلقى تعليمه الابتدائي في مدرسة محلية ثم التحق بكلية شبلي الوطنية في أعظم جراه . بدأ دراسة المنهج النظامي الرائج في بلاد الهند في جامعة دار السلام في عمر آباد ، وحصل على بكالوريوس وماجستير في الدراسات الإسلامية من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وجامعة أم القرى على التوالي . وكتب أطروحة الدكتوراه في جامعة الأزهر .

تم تعيين الأعظمي أستاذاً في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وحصل فيما بعد على الجنسية السعودية .

من مؤلفاته :

١. الجامع الكامل في الحديث الصحيح الشامل أو موسوعة الحديث الصحيح ، المعروف أيضا باسم الجامع الكامل ، وهو مجموعة من روايات الأحاديث الصحيحة . هذا عمل لم يقم به أحد من قبل .
٢. أبو هريرة في ضوء مروياته .
٣. دراسات في الجرح والتعديل .
٤. المِنة الكبرى : شرح وتاريخ السنن الصغير للحافظ البيهقي .
٥. معجم مصطلحات الحديث ولطائف الأسانيد .
٦. دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند .
٧. اليهودية والمسيحية .
٨. فصول في أديان الهند الهندوسية والبوذية والجينية والسيخية وعلاقة التصوف بها .
٩. تحية المسجد .
١٠. سيرة المصطفى صلى الله عليه وسلم الصحيحة على منهج المحدّثين .
١١. التمسك بالسنه في العقائد والأحكام .
١٢. أقضية رسول الله صلي الله عليه وسلم لابن الطلاع القرطبي المتوفى سنة ٤٩٧هـ .
١٣. المدخل إلى السنن الكبرى للإمام البيهقى سنة ٤٥٨هـ .
١٤. أمالي ابن مردويه المتوفى سنة ٤١٠هـ .
١٥. فتح الغفور في وضع الأيدي على الصدور للعلامة الشيخ محمد بن حياة السندي .

المراجع والمصادر :

١. محمد يوسف كوكن العبقري الكبير في جنوب الهند ، د . محمد بشير ، ك ، إم للطباعة والنشر كاليكوت ، ١٩٩٨م .
٢. مستقبل اللغة العربية في جنوب الهند ، محمد يوسف كوكن ، مجلة المجمع العلمي الهندي ، ١ – ٦ – ١٩٨٤م .
٣. تدریم تامل ناڈو میں عربی وفارسی ادبیات کی چار سو سالہ تاریخ، کاوش بدری، قومی کونسل برائے فروغ اردو زبان، نئی دہلی۔
٤. https://www.nidaulhind.com/2016/11/pdf_34.htm
٥. https://ar.wikipedia.org/wiki

إصدارات حديثة

الجاحظ ونبذة من آرائه التفسيرية : عرض ودراسة

للأستاذ محمد عفان الندوي

الأخ أنس الزيات*

من أبرز مظاهر النهضة العلمية المباركة في دار العلوم التابعة لندوة العلماء بلكناؤ عنايتها بتنمية ذوق البحث العلمي لدى أبنائها ، وتدريبهم على ما ينبغي أن يتحلى به الباحث من أصول الكتابة الأكاديمية ومناهج التحقيق العلمي ، وذلك من خلال القسم الرائد المسمى بـ " التدريب العلمي " ، الذي يهدف إلى تكميل وعي الطالب وصقل شخصيته العلمية ، وإكسابه القدرة على جمع المادة العلمية وترتيبها وتنسيقها وتنقيحها وتحليلها تحليلا نقدياً .

ومن ثمَّ يقوم طلاب الدراسات العليا بإعداد المقالات والرسائل والبحوث العلمية تحت إشراف الأساتذة المتخصصين ، ليكتسبوا ملكة البحث والتحقيق ، ويتمكنوا من الرجوع إلى أمهات الكتب والمصادر الأصيلة ، وتحقيقاً لهذا الهدف النبيل ، أخرج طلاب الدراسات العليا بحوثاً علمية كثيرة تحت لواء معهد الدراسات العلمية ، الذي اعتنى بنشر المتميز منها ، إشادة بجهود الباحثين وتشجيعاً لهم .

ومن بين هذه البحوث المختارة هذا البحث الموسوم بـ " الجاحظ ونبذة من آرائه التفسيرية " للباحث الفاضل محمد عفان الندوي (باحث التدريب العلمي بدار العلوم لندوة العلماء سابقاً) .

وهذه الدراسة – فيما أعلم – من أوائل الدراسات العلمية المستفيضة التي عُنيت باستجلاء التراث القرآني عند الجاحظ ، إذ لم يُعرف له كتاب مستقل أفرده لتفسير القرآن الكريم ، أو لبيان وجوه إعجازه وبلاغته ، أو لشرح أحكامه ومعانيه ، وإن كان شديد التأثر بأسلوبه المعجز ، وما فيه من دقة وإحكام ، وجزالة وروعة ، وحسن انتقال ، وبديع تمثيل وتشبيه ، وغير ذلك من الخصائص البيانية والمعنوية التي امتاز بها الذكر الحكيم عن سائر الكتب .

وقد كانت هذه الآراء القرآنية المتناثرة في ثنايا مؤلفات الجاحظ ورسائله موضع اهتمام الباحث ، فنهض بمهمة علمية جادة ، قوامها جمع ما تفرق من أقوال الجاحظ في تفسير الآيات الكريمة وبيان دلالاتها ومعانيها ونواحيها البيانية ، وقد وُفق الباحث الفاضل محمد عفان الندوي إلى إنجاز هذا العمل ، فجمع تلك المادة ورتبها وهيأها في صورة علمية ميسرة ، ينتفع بها المشتغلون بعلوم القرآن الكريم ، وبذل في إعداد هذه الأطروحة جهداً كبيراً مشكوراً يستحق الثناء والتقدير ، ويتضح من خلال فصول البحث ومباحثه

* الأمين العام للنادي العربي بدار العلوم لندوة العلماء .

مقدار الجهد الذي بذله الباحث في تحقيق موضوعه .

فقد تناول في الباب الأول مولد الجاحظ ونشأته ، وعقيدته ، والأحوال السياسية والدينية والعلمية والاجتماعية في عصره ، كما تحدث عن صلته بالخلفاء وأصحاب النفوذ ، وعن شيوخه وتلاميذه ، ومؤلفاته ، ومن اتصل بهم من خاصته وخدمه .

أما الباب الثاني فقد خصصه للحديث عن مكانة الجاحظ في العلوم العربية والكلامية ، وآثاره العلمية والأدبية ، وضمنه تعريفاً موجزاً بأهم مؤلفاته ، مثل : " الحيوان " ، و " البيان والتبيين " ، و " البخلاء " ، و " البرصان والعرجان والعميان والحولان " ، و " التبصر بالتجارة " ، و " التاج في أخلاق الملوك " ، ورسائله المختلفة ، وغيرها من الكتب التي تدل على سعة معارفه وتنوع ثقافته . كما أشار فيه إلى منهجه في التأليف وخصائصه الكتابية .

وفي الباب الثالث عرض الباحث مناهج التفسير وطرائقه في عصر الجاحظ ، وبيّن خصائص منهجه التفسيري مدعماً ذلك بالأمثلة والنماذج من نصوصه وآرائه ، كما جمع الآيات التي تعرض الجاحظ لتفسيرها في كتابيه " الحيوان " و " البيان والتبيين " .

أما الباب الرابع فقد تناول قضية إعجاز القرآن الكريم ومسألة الصرفة ، مبيناً رأي الجاحظ فيها وآراء غيره من العلماء ، كما تعرض لقواعد التفسير وأنواعه عند الجاحظ ، وجملة من المسائل المتصلة بذلك .

وفي الباب الخامس أفاض الباحث في دراسة آراء الجاحظ الكلامية المتعلقة بالقرآن الكريم ، فتناول موقفه من الاعتزال ، وردوده على الشبهات ، وحديثه عن التأويل ، وقضية خلق القرآن ، والميزان ، والخلة ، وغير ذلك من القضايا العقدية والكلامية المهمة .

وفي خاتمة الرسالة لخص الباحث أهم النتائج التي انتهى إليها ، مؤكداً أن ما وصل إلينا من آراء الجاحظ في علوم القرآن وتفسيره ليس إلا جزءاً يسيراً من تراث واسع ، وأنه يعد من أوائل من تنبهوا إلى أسرار الإعجاز البياني في القرآن الكريم . كما ختم بحثه معترفاً بأن دراسة شخصية الجاحظ من الناحية التفسيرية وآرائه القرآنية والعلمية ما تزال بحاجة إلى مزيد من البحث والتحليل والاستقصاء .

ومن ثم فإن هذه الدراسة لا تقتصر على جمع أقوال الجاحظ التفسيرية وشرحها فحسب ، بل تضم ترجمة وافية له ، وتتناول عدداً من القضايا المهمة في العقيدة والكلام وعلوم القرآن ، وكل ذلك في صياغة علمية رصينة وأسلوب أكاديمي متين ، يجعل هذا البحث جديراً بأن يقدم إلى الأوساط العلمية والبحثية ، وأن يحتل مكانته بين الدراسات الأدبية والقرآنية المعاصرة .

وقد تحلى جيد الكتاب بمقدمة قيمة للشيخ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي ، وكلمة المشرف الأستاذ محمد نعمان الدين الندوي مدير معهد الدراسات العلمية بدار العلوم ، والكتاب يغطي ٤٦٨ صفحة ، وطبع من معهد الدراسات العلمية .

أدب الرحلات في الهند: رحلة ابن بطوطة نموذجاً
للدكتور حسن الأمراني رئيس الرابطة في ندوة العلماء بالهند

بقلم : الأستاذ شمس الدين درمش*

نظمت جامعة (دار العلوم ندوة العلماء) في مدينة لكناؤ بالهند محاضرة علمية بعنوان : " أدب الرحلات في الهند : ابن بطوطة نموذجاً " ، ألقاها فضيلة الأستاذ الدكتور حسن الأمراني رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، وذلك يوم الأربعاء الموافق الأول من شهر محرم الحرام في افتتاحية العام الهجري الجديد (١٤٤٨) ، الموافق ٢٠٢٦/٦/١٧م ، بعد صلاة المغرب بالتوقيت الهندي ، الساعة الخامسة بعد العصر بتوقيت مكة المكرمة ، في قاعة العلامة المحدث حيدر حسن التونكي .

وشارك في المحاضرة حوالي مائتي طالب من الدراسات العالية والعليا ، ومن أقسام الشريعة والأدب ، وبثت من خلال الشبكة .

وقدم فضيلة الدكتور حسن الأمراني محاضرته عبر برنامج (الزوم) من مكان إقامته في مدينة وجدة بالمملكة المغربية .

أولاً : التلاوة تلاها الطالب محمد بن افتخار من السنة الرابعة العالية ، ثم كلمة الترحيب والاستقبال ألقاها الدكتور محمد فرمان الندوي أستاذ الأدب العربي بدار العلوم لندوة العلماء ومدير تحرير مجلة البعث الإسلامي .

ثم محاضرة الشيخ حسن الأمراني ، بدأ محاضرته بتقديم الشكر إلى الشيخ السيد بلال عبد الحي الحسني الندوي ثم ألقى محاضرته أمام الطلبة ، واستمع إليها الطلاب ، ثم فترة السؤال والجواب كان مقدم الأسئلة الأستاذ ظفر الدين الندوي أستاذ كلية الشريعة ، وكان هناك توزيع الجوائز بين الطلاب الذين كتبوا المقالات حول عناوين جانبية لموضوع المحاضرة .

وأخيراً قدم كلمة الشكر الطالب محمد طيب من قسم الدراسات العليا ، وانتهى البرنامج بالدعاء المأثور ، ومن أبرز المشاركين الأستاذ فيصل أحمد الندوي ، والأستاذ شميم أحمد الندوي ، والأستاذ الدكتور نصر الله الندوي ، والأستاذ جاويد أختر الندوي ، وكان مقدم البرنامج الطالب أبو الحسن من قسم التخصص في الأدب العربي ، وتكونت لجنة الاستقبال من : فرحان وسيم السنة الرابعة العالية ، ومحمد أرقم السنة الرابعة العالية ، وأجود حسان السنة الرابعة العالية ، وحسان عمر عمر قسم التكميل من الشريعة ، وعبد الله المجاهد قسم التكميل من الشريعة ، وأبو الحسن قسم التكميل في الأدب .

* سكرتير مكتب رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، الرياض .

(١) إمام وخطيب المسجد الأقصى الشيخ وليد صبحي صيام إلى رحمة الله تعالى

قلم التحرير

تلقينا نبأ وفاة الشيخ وليد صبحي صيام في مدينة القدس بعد صراع طويل من المرض ، وذلك في ١٧/ ذي الحجة ١٤٤٧هـ ، المصادف ٤/ يونيو ٢٠٢٦م ، بالغاً من العمر ٧١ عاماً ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الشيخ وليد صيام من مواليد القدس عام ١٩٥٥م ، وتلقى العلوم الشرعية على علماء القدس كما درس في المدينة المنورة ، وكان يعد من الشخصيات الدينية البارزة في القدس ، وقد شغل حياته كلها في الوعظ والإرشاد وتربية الشباب وإعداد الأجيال ، كما عمل واعظاً ومأذوناً شرعياً ومدرساً للقرآن الكريم والعلوم الإسلامية ، وظل إماماً وخطيباً إلى مدة أطول ، حتى أقعدته المعاناة الصحية عن الإمامة في سنواته الأخيرة ، وقد تعرض عام ٢٠١٩م للاعتقال والمضايقة من سلطات الاحتلال ، لكنه صبر واحتسب حتى لقي الله عز وجل ، ومن أشهر أئمة المسجد الأقصى وخطبائه في هذه الأيام :

(١) الشيخ محمد أحمد حسين مفتي القدس وخطيبها (٢) الشيخ عكرمة سيعد صبري (٣) الشيخ يوسف أبو سنينة (٤) الشيخ إسماعيل نواهضه (٥) الشيخ محمد سليم (٦) الشيخ أحمد أبو غزالة (٧) وآخرهم الشيخ وليد صبحي صيام .

وقد أثنى على الشيخ وليد بعد وفاته أعلام العالم الإسلامي ، وضجت مواقع التواصل الاجتماعي بذكر مناقبه الحميدة ، فقال أحد علماء فلسطين الشيخ حسام الدين عفانة : انتقل إلى رحمة الله تعالى الشيخ وليد صيام إمام المسجد الأقصى المبارك وشيخ دار القرآن فيه ، وقال أيضاً : إنه كان من خيرة طلابي الذين درستهم خلقاً وأدباً وعلماً ووفاءً .

ونحن إذ نعزي أسرة الشيخ وليد الصيام على هذا الحادث ، ندعو الله تعالى أن يتقبل منه أعماله وإنجازاته ، ويرفع درجاته ، ويسكنه فسيح جناته ، ويحشره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .

(٢) الأستاذ المفتي عبد الودود المظاهري في ذمة الله تعالى

انتقل إلى رحمة الله تعالى الأستاذ عبد الودود المظاهري إلى رحمة الله تعالى في ٢٦/ ذي الحجة ١٤٤٧هـ ، المصادف ٢٠٢٦/٦/١٣م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الأستاذ المفتي عبد الودود المظاهري من سكان حيدر آباد ، بولاية تلنغانه ، (الهند) ، حفظ القرآن الكريم في صغر سنه ، ثم درس الابتدائية والثانوية في إحدى مدارس حيدرآباد ، ثم واصل دراسته في مدرسة مظاهر العلوم بسهارنفور ، ولاية أترابراديش (الهند) ، وقد نال منها شهادة الفضيلة عام ١٩٧٦م ، ثم انخرط في سلك التدريس بدار العلوم سبيل السلام بحيدرآباد ، وقد قام بتدريس الكتب المنهجية أمثال تفسير الجلالين ، وسنن أبي داود ، وصحيح مسلم ، وكما يدرِّس

الطلاب صحيح البخاري المجلد الثاني إلى آخر أيام حياته ، وكان مواظباً على التدريس ، لا يفارقه في أيام مرضه وضعفه ، وقد حضر المدرسة للتدريس قبل يومين ، وكان يود أن يتقبل منه الله تعالى أعماله ، ويجعله ذخيرة في ميزان حسناته .

قضى الشيخ حياته كلها في التدريس ، فقام بإعداد أجيال من الطلاب والتلامذة الذين تتلمذوا عليه ، ودرسوا منه ، وهم يشتغلون بهذا العمل ، فهم صدقة جارية له بإذن الله تعالى ، كما ترك وراءه ابنين وثلاث أخوات ، أما الأخوان فهما الأخ عبد المعبود حماد ، والأخ عبد الكريم كرامت الندوي ، وقد توفيت زوجته عام ٢٠٠٨م ، وقد صلى عليه أخوه الأستاذ عبد الملك محمود المظاهري .

ونحن إذ نتقدم بالتعازي القلبية إلى أبناء وإخوة الفقيد ندعو الله تعالى أن يرحمه رحمة واسعة ، ويغفر له زلاته ، ويمطر عليه شآبيب رحمته ، فإنه على كل شيئ قدير ، وبالإجابة جدير .

(٣) الأستاذ الأديب الشاعر عبد الله عيسى السلامة إلى رحمة الله

تلقينا نبأ وفاة الشيخ الأديب الشاعر عبد الله عيسى السلامة في ٢٦/ ذي الحجة ١٤٤٧هـ ، المصادف ١٢/ يونيو ٢٠٢٦م في مدينة عمان ، حيث كان مقيماً منذ بداية الثمانينيات ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وُلد الشيخ عبد الله عيسى السلامة عام ١٩٤٤م ، في قرية الحديدي ، قريباً من شرقي حلب ، ونشأ في أسرة ريفية ، ودرس في المرحلة الابتدائية في قريته ، وأكمل الثانوية في المعهد العربي الإسلامي في حلب ، وقد حصل على شهادة الليسانس في الآداب ، قسم اللغة العربية من جامعة دمشق عام ١٩٦٨م ، ونهل العلم على أيدي الأساتذة ، وكان من أبرزهم : الأستاذ سعيد الأفغاني ، والدكتور عمر فيصل ، والدكتور إحسان النص ، والدكتور مازن المبارك ، والدكتور محمد سعيد رمضان البوطي .

وقد عمل الشيخ في كلية المجتمع الإسلامي ، الزرقاء ، الأردن ، وقد حصل على شهادة الليسانس في الحقوق من جامعة بيروت العربية عام ١٩٨٧م ، ولم يكن يداوم فيها ، بل كان يقدم الامتحانات في الجامعة الأردنية في عمان ، ومن مؤلفاته في الشعر : (١) الظل والحرور (٢) واحة في التيه (٣) المعاذير (٤) أمواج بارقية . ومن رواياته : (١) الثعابيني (٢) الغيمة الباكية (٣) سر الشارد (٤) من قتل الرجل الغامض ؟ (٥) يائس في فردوس الشيطان .

نشر الشيخ عبد الله المقالات والقصائد والقصص في المجلات والصحف العربية ، منها مجلة حضارة الإسلام الدمشقية ، استمر فيها عشر سنين ، ومجلة الأدب الإسلامي التي تصدرها رابطة الأدب الإسلامي ، ومجلة الأمة القطرية ، ومجلات الدعوة وغيرها من المجلات .

وقد نعت رابطة الأدب الإسلامي العالمية ومكتبها الإقليمي في الأردن وسوريا ، وفاة الأستاذ الأديب الشاعر عبد الله عيسى السلامة عضو رابطة الأدب الإسلامي العالمية ، وأبرز رموز الأدب الإسلامي في سوريا ، بعد مسيرة حافلة بالعطاء العلمي والدعوي والتربوي والأدبي في الشعر والقصة والرواية .

رحمه الله رحمة واسعة ، وأمطر عليه شآبيب رحمته ، وغفر له زلاته ، وتغمده برحماته ، أسكنه في جنات الفردوس ، ألهم أهله وذويه الصبر الجميل .

إصدارات حديثة :

الجمع الفقهي لآيات القرآن الكريم وذكر أهم المسائل والمباحث للشيخ المحقق الدكتور محمد يعقوب الندوي

صدر حديثاً المجلد الثاني لكتاب الجمع الفقهي لآيات القرآن الكريم وذكر أهم المباحث والمسائل من كتب التفسير والحديث والفقه ، وذلك من قلم الأستاذ الفاضل ، والباحث المدقق ، والمربي الجليل الشيخ الدكتور محمد يعقوب الندوي أستاذ كلية اللغة العربية وآدابها ، بدار العلوم لندوة العلماء ، وقد صدر المجلد الأول قبل عام ، وهو يغطي ٣٤٢/ صفحة من القطع الكبير ، وهو يشتمل على العبادات من الطهارة والصلاة والصيام والزكاة والحج ،أما المجلد الثاني فهو يستوعب ٣٩١/ صفحة من القطع الكبير ، ويحتوي الأحوال الشخصية وعلم الفرائض ، قام بطبع ونشر الكتاب المؤلف نفسه ، ولا يسمح بإعادة إصدار الكتاب أو نقله بأي شكل كان دون إذن خطي من المؤلف .

دراسة سريعة لهذين المجلدين من الكتاب تبرز لدى القراء مزايا وخصائص ، وهي علي ما يأتي :

(١) جمع المؤلف الآيات القرآنية حول موضوع واحد بترقيم الآيات وذكر السور ، بحيث يكون القارئ على معرفة تامة بالموضوع ، كما أشار إلى أسباب نزول الآيات حتى يتضح المراد ، وينكشف المفهوم ، فالكتاب مثال لتفسير القرآن بالقرآن .

(٢) جمع المؤلف الأحاديث النبوية الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم فهي تشرح الموضوع شرحاً وافياً كافياً .

(٣) جمع المؤلف أقوال العلماء والفقهاء وآرائهم الاجتهادية في ضوء دلائلها من القرآن والحديث مع الإشارة إلى قول الجمهور .

(٤) قام المؤلف بتحقيق الكلمات والمفردات من المعاجم والقواميس ، وبين معانيها ومواضع استعمالها .

(٥) لم يتغافل المؤلف عن توجيه وإرشاد القارئ إلى جوانب تربوية ، فقد ذكر كثيراً من المواعظ والأخلاق النافعة في حياة الفرد والمجتمع .

(٦) ذكر المؤلف كل موضوع مدعماً بالدليل ، وأحاله إلى المراجع والمصادر ، هذا هو أمانة البحث والتحقيق .

(٧) جمع المؤلف في هذا الكتاب المذاهب الأربعة ، ولم يتحاش عن ترجيح الراجح .

(٨) وقد وضع المؤلف العناوين الجانبية لمعرفة نواحي الموضوع بكل سهولة .

(٩) ذكر المؤلف المسافات والموازين الواردة في كتب الحديث أمثال البريد والفرسخ والذراع وغيرها ، وقارن بينها وبين المسافات الحديثة .

(١٠) استفاد المؤلف من المجلات والدوريات والصحف والجرائد ، فعلى سبيل المثال : إنه نقل مقالاً من مجلة البعث الإسلامي حول تربية الأولاد في ضوء القرآن الكريم والسنة ، وجدير بالذكر أن هذا المقال نشر في المجلة في يناير وفبراير ٢٠٢٦م .

هذه عشر خصائص وميزات لمستها خلال دراسة هذا الكتاب ، وكتبتها على عجل ، والمجلة ماثلة للطباعة ، وسننشر مقالات موسعةً في التعريف بهذه الموسوعة في الأعداد الآتية من المجلة بإذن الله تعالى ، ونحن إذ نهنئ المؤلف على هذا الإنجاز القيم ندعو الله أن يوفقه لإكمال هذه السلسلة النافعة (مدير تحرير المجلة)

R.N.I. No. (U.P.) ARA/2000/02341
Postal Regd. No. SSP/ LW-NP/64/2024 To 2026
Published on: 3rd of Every Month
Posted at R.M.S. Charbagh Lucknow-04

Dispatch Date: 5,6,7
ISSN 2347-2456
Per Copy. Rs. 40/-
Annual Subs. Rs. 400/-

Monthly

AL-BAAS-EL-ISLAMI

Vol. No. 72 Issue. No. 08, July, August 2026

إصدارات حديثة

Designed by Hamid, Mob:9889654027,9918687777, E-mail:hrhamid1962@gmail.com

Printed & Published by MOHAMMAD TAHA ATHAR on behalf of Majlis-e-Sahafat-wa-Nashriyat
at Azad Printing Press, Nazirabad Lucknow. U.P.
Editor: SAEED -AL - AZAMI - AL- NADWI